ملخص البحث

تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن بلاغة الخطاب الحجاجى بين الخليفة العباسي (أبو جعفر المنصور) (ت١٥٨/٧٧٥) ومحمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بـ (النفس الزَّكيَّة) قتل (١٤٥/٧٦٥)، وتهدف إلى معرفة وسائل الحجاج وتقنياته في هذا الخطاب السياسي، والوقوف على أبرز هذه الوسائل التي وظفها الخصم بهدف الإقناع والتأثير، وتقوم هذه الدراسة على ثلاثة مباحث مسبوقة بمقدمة وتمهيد، **المبحث الأول بعنوان** : بلاغة الخطاب الحجاجي في رسالة أبي جعفر المنصور إلى محمد النفس الزَّكيَّة، **والمبحث الثاني بعنوان** : بلاغة الخطاب الحجاجي في رد محمد النفس الزَّكيَّة على رسالة أبي جعفر المنصور، **والمبحث الثالث بعنوان** : بلاغة الخطاب الحجاجي في رد أبي جعفر المنصور على رد محمد النفس الزَّكيَّة، ثم جاءت الخاتمة وفيها أهم النتائج التي ترتب عليها البحث، ثم فهرس المصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات.

الكلمات المفتاحية : بلاغة – الخطاب – الحجاجي – أبو جعفر المنصور – محمد (النفس الزكية).

Abstract: This study seeks to uncover the rhetoric of argumentative discourse between the Abbasid Caliph (Abu Ja'far al-Mansur) (d. ١٥٨/٧٧٥) and Muhammad ibn Abdullah ibn al-Hasan, nicknamed al-Nafs al-Zakiyya (killed in ١٤٥/٧٦٥). It aims to understand the means and techniques of argumentation in this political discourse, and to examine the most prominent of these methods employed by the opponent for the purpose of persuasion and influence. This study is based on three sections preceded by an introduction and a preface. **The first section is entitled**: The Rhetoric of Argumentative Discourse in the Letter of Abu Ja'far al-Mansur to Muhammad (al-Nafs al-Zakiyya). **The second section is entitled**: The Rhetoric of Argumentative Discourse in Muhammad's (al-Nafs al-Zakiyya's) Response to Abu Ja'far al-Mansur's Letter. **The third section is entitled**: The Rhetoric of Argumentative Discourse in Abu Ja'far al-Mansur's Response to Muhammad's (al-Nafs al-Zakiyya's) Response. The conclusion is then followed by The most important results of the research, followed by an index of sources and references, and an index of topics.

Keywords: Rhetoric - Discourse - Argumentation - Abu Ja'far al-Mansur - Muhammad (al-Nafs al-Zakiyya).

مُقدِّمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد...،

فمما لاشك فيه أن الصراع الذي دار بين العلويين والعباسيين على الخلافة قد اقتضى رسائل متبادلة بين الطرفين، وهذه الرسائل المتبادلة كانت ترمي إلى الإقناع وإقامة الحجة على الخصم ، وكان من بين هذه الرسائل: الرسائل المتبادلة بين **أبي جعفر المنصور** وبين **محمد النفس الزَّكيَّة** ، وهي رسائل ذات خصوصية كان يحرص كل واحد منهما على تحقيق هدفه الإقناعي من خلال انتقاء الكلمة الفاعلة في الحجاج ، واختيار الأساليب البلاغية المؤثرة ، والتقنيات الحجاجية المستدرجة " فلا يبقى للكاتب هدف سوى الإقناع بما يريد ، وحسبه في ذلك أنه أفهم خصمه، أو أعجزه عن القول أو الرد عليه ، أو تفنيد مقولاته التي أصر على عرضها"(١).

ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذا الموضوع " **بلاغة الخطاب الحجاجي بين أبي جعفر المنصور ومحمد النفسى الزَّكيَّة**" .

أهمية الموضوع :

تتمثل أهمية الموضوع من جهة أنَّ هذه الرسائل المتبادلة بين الطرفين ذات بعد حجاجي ترمي إلى تغيير أفكار ، وتصحيح معتقدات ، فهي أكثر قابلية للدراسة البلاغية الحجاجية من غيرها من الدراسات.

أسباب اختيار الموضوع :

كان لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب كان من أهمها ما يلي :

١–أهمية هذه الرسائل المتبادلة بين **أبي جعفر المنصور** و **محمد النفس الزَّكيَّة** فهي بنية حجاجية تقوم على الإقناع والإمتاع ، والوقوف على الحجج التي اعتمد عليها الطرفان ، وتنوع هذه الحجج وأثر ذلك في الإقناع والاستدراج .

٢–إبراز القدرة الإبداعية لكل طرف في محاولته لإقناع الطرف الآخر واستدراجه.

٣–بيان العناصر اللغوية والأساليب البلاغية التي اعتمد عليها كل طرف في استدراجه الطرف الآخر وإنزاله عن فكرته واعتناقه لفكرة الخصم واعتقاده.

---

(١) مستويات الحوار في فنون النثر العباسي، دكتور/ عبد الله التطاوى ، ص ٦٩، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٥م.

٤-أن هذه الرسائل لم تحظ – على حد علمي – بدراسة تجلِّي البلاغة الحجاجية فيها.

أسئلة الدراسة :

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن سؤال محوري، هو: ما دور البلاغة في البنية الحجاجية في الرسائل المتبادلة بين **أبي جعفر المنصور ومحمد النفس الزَّكيَّة** ؟ هذا السؤال المحوري يتفرع منه عدة أسئلة فرعية تعين في الإجابة عنه ، وذلك على النحو الآتي :

١-ما الحجج التي اعتمد عليها الخصمان لإقناع الآخر بهدفه المقصود، وما الروابط اللغوية التي اعتمدا عليها في بناء هذه الرسائل بناءًا حجاجيًّا؟

٢-كيف تنوع بناء هذه الرسائل بين الإيجاز والإطناب وأثر ذلك على استدراج الخصم واستمالته ، وما الوسائل البلاغية التي أقيم عليها بنية الحجاج في الرسائل؟

٣-ما علاقة براعة الاستهلال في مطلع الرسالة وخاتمتها وما أثر ذلك في استدراج الخصم وإقناعه ؟

٤-كيف أقيم بناء هذه الرسائل، وكيف رتبت أجزاؤها ترتيبًا منطقيًّا يحقق التماسك والانسجام ، ويساعد على تحقيق الهدف المقصود؟

أهداف الموضوع:

تهدف هذه الدراسة من خلال تحليل بلاغة الخطاب الحجاجي بين **أبي جعفر المنصور** و **محمد النفس الزَّكيَّة** إلى تحقيق ما يأتي:

١-الكشف عن التقنيات الحجاجية في هذه الرسائل وتنوعها، وأثر هذا التنوع في استدراج الخصم لإقناعه واستمالته إلى الهدف المقصود، والوقوف على سر تنوع بنية هذه الرسائل الحجاجية إيجازًا وتفصيلًا والدافع إلى ذلك.

٢-تحديد العناصر اللغوية، والأساليب التي وظفها الخطاب الحجاجي في هذه الرسائل المتبادلة بين الخصمين وأثرها في الاستمالة والتأثير والإقناع.

٣-بيان تكاتف الأساليب البلاغية وتآزرها في البنية الحجاجية مما يحقق الإقناع والإمتاع.

٤-استجلاء الخصائص البلاغية للخطاب الحجاجي لكل رسالة على حدة.

الدراسات السابقة:

ومما يلاحظ أن هناك دراستين تناولتا هذه الرسائل المتبادلة بين **أبي جعفر المنصور** و **محمد النفس الزَّكيَّة:**

الدراسة الأولي: عنوانها: الرسائل المتبادلة بين **أبي جعفر المنصور** و **محمد النفس الزَّكيَّة،** للدكتور/ فاروق عمر، وتقع في تسع عشرة صفحة(١٩)، وهذه الدراسة تتحدث عن تاريخ الصراع

بين العلويين والعباسيين على الخلافة ، ثم تنكر نص هذه الرسائل ، وتوثيقها ، وأفكارها، فهي ليست لها علاقة بهذا البحث الذي يقوم على دراسة بلاغة الحجاج في هذه الرسائل المتبادلة بين الطرفين.

الدراسة الثانية: عنوانها: بلاغة الخطاب السّجالي، مقاربة تداولية في مراسلات **أبي جعفر المنصور** و **محمد النفس الزَّكيَّة** ، للدكتور هيثم سرحان، وهي منشورة في مجلة الأبحاث كلية الآداب والعلوم – الجامعة الأمريكية ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٢– ٢٠١٣م، وهذه الدراسة تقع في إحدى وثلاثين صفحة(٣١).

وهذا البحث يهدف إلى مقاربة مراسلات **أبي جعفر المنصور ومحمد النفس الزَّكيَّة** في ضوء منهج تحليل الخطاب ، وقد سار في ثلاثة مسارات متلاقية : ١– إنتاج الخطاب السّجالي وسياقاته التداولية بما في ذلك السياق التاريخي للنصوص، ٢– البناء النصي وتركيب الخطاب، ودلالاته، ويندرج فيه نوع النصوص وموضوعها وأدواتها الإبلاغية وإحالاتها النصية . ٣– وظائف الخطاب وأهدافه وما يسعى إلى تحقيقه من استجابات .

وتتفق هذه الدراسة مع دراستنا في متن الدراسة " **الرسائل**"، ومنهج هذه الدراسة بعيد كل البعد عن منهج دراستنا الذي يتوفر على إبراز طاقة اللغة، وفاعلية الأساليب البلاغية، والتقنيات الحجاجية، ودور ذلك كله في إقناع الخصم واستدراجه نحو الهدف المقصود .

الدراسة الثالثة : جاء الحديث عن هذه الرسائل – ضمن موضوعات أخرى – في كتاب مستويات الحوار في فنون النثر العباسي ، د/ عبد الله التطاوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

وقد عرض هذه الرسائل بإيجاز، وذلك على المستوى السياسي والتاريخي والفني، وفي المستوى الفني أشار إلى بعض الظواهر الفنية في الرسائل، وذلك من حيث الوضوح، .... وهذه ظواهر أدبية عامة لا تغني عن التأمل الدقيق لفاعلية اللغة، وتحليل الأساليب البلاغية وأثرها الحجاجي في الإقناع، وكذلك لا تغني عن التقنيات الحجاجية وتنوعها وروابطها وأثر ذلك كله في استمالة الخصم، واستدراجه وهذه الإشارات وإن كانت في غاية الإيجاز إلا أنها ومضات أفاد منها البحث.

منهج البحث :

وقد اعتمدت الدراسة في معالجة بلاغة الحجاج بين هذه الرسائل المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف الحجة، ويقوم بتحليلها تحليلًا يجلِّي آليات هذا الحجاج، وعلاقاته اللغوية، وما يقوم عليه من أساليب بلاغية وحجج منطقية ترمي إلى إقناع الخصم واستمالته.

خطة البحث :

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة، وفهارس وبيان ذلك على النحو التالي :

المقدمة : تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأسئلة الدراسة، وأهداف الموضوع، والدراسات السابقة، و منهج البحث.

التمهيد : يتناول:

أولًا: التعريف بـ " **أبي جعفر المنصور**".

ثانيًا: التعريف بـ" **محمد النفس الزَّكيَّة**".

ثالثًا: الرسائل المتبادلة بين" **أبي جعفر المنصور ومحمد النفس الزَّكيَّة**".

رابعًا: مفهوم الحجاج وعلاقته بالبلاغة .

المبحث الأول : بلاغة الخطاب الحجاجي في رسالة **أبي جعفر المنصور** إلى **محمد النفس الزَّكيَّة**.

المبحث الثاني: بلاغة الخطاب الحجاجي في رد **محمد النفس الزَّكيَّة** على رسالة **أبي جعفر المنصور** .

المبحث الثالث: بلاغة الخطاب الحجاجي في رد **أبي جعفر المنصور** على رد **محمد النفس الزَّكيَّة**.

وأخيرًا جاءت الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم الفهارس الفنية.

****

تمهيد

أولًا : التعريف بـ(أبي جعفر المنصور):

اسمه :

هو : عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ولد سنة (٩٥هـ -٧١٤م) في قرية " الحميمة" بالشام ، وأمه أم ولد اسمها سلامة البربرية.

يُكنَّى بـ" **أبي جعفر المنصور**"، وكان قبل أن يلي الخلافة يقال له: عبد الله الطويل(١).

خلافته :

لما تولى أخوه " **أبو العباس**" الخلافة استعان به في محاربة أعدائه وتصريف أمور الدولة، وكان ينوب عنه في الحج ، كما أوصى " **أبو العباس**" قبيل وفاته مباشرة بولاية عهده لأخيه "**أبي جعفر**" الذي كان غائبًا في موسم الحج ، فلما توفي " **أبو العباس**"، قام ابن أخيه "**عيسى بن موسى**" بأخذ البيعة **لأبي جعفر** من "**بني هاشم**"، وغيرهم، وأرسل إلى عمه " **أبي جعفر**"، بوفاة أخيه ومبايعته بالخلافة.

ولما وصل "**أبو جعفر**" إلى "**الأنبار**" استكمل أخذ البيعة من القادة والرؤساء، ثم خطب فيهم مبينًا سياسته في إدارة الدولة في النقاط الآتية :

١-زهده في منصب الخلافة، وأنه لم يكن يتطلع إلى ذلك أو يرغب فيه.

٢-تعهده بتنفيذ ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٣-تعهده بإقرار العدل ورفع الظلم عن الناس ، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها(٢).

تأسيسية للدولة العباسية :

يُعدُّ "**أبو جعفر المنصور**" المؤسس الحقيقي للدولة العباسية ، وقد واجه بحزم واقتدار العديد من المشاكل والثورات حتى نجح في السيطرة عليها والقضاء على القائمين بها ، ومنها : ثورة عمه "**عبد الله بن علي**" وتمرد "**أبي مسلم الخراساني**" وثورة "**محمد النفس الزَّكيَّة**" وثورات الفرس، وحركات الخوارج .

---

(١) ينظر : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة للظاهري ، ٣٢/٢ ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار الكتب- مصر ، (د-ت)، موسوعة سفير للتاريخ الاسلامي، ٤/٣ ، نقلها وأعدها للشاملة أبو سعيد المصري.

(٢) ينظر: النجوم الزاهرة ، ٣٣/٢، البداية والنهاية لابن كثير ١٢٣/١٠، مطبعة السعادة - القاهرة (د.ت).

أولًا: ثورة عبد الله بن علي :

يعد "**عبد الله بن علي**" عم الخليفة "**أبى جعفر المنصور**" من الشخصيات العسكرية البارزة في الدولة العباسية وقد شارك مثل غيره من أفراد البيت العباسي، في النشاط العسكري والسياسي حتى قامت الدولة العباسية وتولى إمارة الشام فلما تُوفي الخليفة الأول "**أبو العباس**" رفض "**عبد الله بن علي**" مبايعة الخليفة الجديد "**أبي جعفر المنصور**" وأعلن أنه أحق منه بمنصب الخلافة، وأن الخليفة " **أبا العباس**"، كان قد وعده بذلك، ولم يكن هذا صحيحًا، لأن الخليفة " **أبا العباس**" كتب وصيته قبل وفاته بتولية أخيه " **أبي جعفر**" الخلافة، كما أنه لم يرد عن أحد من أفراد البيت العباسي ما يؤيد دعوى "**عبد الله بن علي**".

وقد أحدث هذا خللًا شديدًا في كيان البيت العباسي، فحاول "**أبو جعفر**" رأب هذا الصدع ، وأرسل إلى عمه عدة رسائل يدعوه إلى الدخول في طاعته، ولزوم الجماعة، إلا أن عمه رفض ذلك ، فأرسل إليه " **أبو جعفر**" قائده " **أبا مسلم الخراساني**"، على رأس جيش كبير، ودارت معركة فاصلة بين الجيشين في (جمادى الآخرة سنة ١٣٧هـ- نوفمبر سنة٧٥٤م)، انتهت بانتصار جيش "**أبي مسلم**" وفرار "**عبد الله بن علي**" إلى البصرة، ثم استطاع الخليفة "**أبو جعفر**" إحضاره منها إلى الكوفة وسجنه حتى مات سنة (١٤٧هـ-٧٦٤م) [١].

ثانيًا: تمرد أبي مسلم الخراساني :

اختلفت المصادر التاريخية في بيان أصل " **أبي مسلم الخراساني**" والراجح أنه من أصل فارسي ، وقد التحق في بداية أمره بخدمة "**إبراهيم الإمام**" الذي أُعجب به ووثق فيه، واستعان به في أموره المهمة ، وكان له دور بارز في نجاح الدعوة العباسية، وقيام دولتها ورغم الجهود والأعمال التي قام بها **أبو مسلم** فإنه ارتكب بعض الأخطاء الجسيمة في حق الخلافة العباسية منها : انفراده بالحكم في خراسان وتجاهله شيوخ الدعوة العباسية ونقباءها هناك، وعدم تنفيذ أوامر الخليفة "**أبي العباس**" ثم تجاهله "**لأبي جعفر**" في مناسبات كثيرة، وتحريضه ابن أخيه " **عيسى بن موسى**" على الثورة والاستئثار بمنصب الخلافة، وغير ذلك، وقد حاول الخليفة " **أبو جعفر**"- في البداية- معالجة الأمور بهدوء، فاستدعى **أبا مسلم** من خراسان إلا أنه رفض الحضور فواصل الخليفة مراسلاته ، واستعان ببعض الزعماء للضغط على **أبي**

---

(١)ينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير، تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري ، ٥٣/٥ ، ٥٤، دار الكتاب العربي ، بيروت- لبنان، ط: ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، وموسوعة سفير للتاريخ الاسلامي٣/٥، ٦.

مسلم للحضور إلى مقر الخلافة في العراق إلا أن **أبا مسلم** رفض ذلك، فأرسل الخليفة إليه يهدده ويتوعده إن لم يرضخ ويستجب لأمره، وبعد مشاورات بين **أبي مسلم** وأنصاره استجاب وحضر إلى قصر الخلافة، فعدد عليه الخليفة **أبو جعفر** ما ارتكبه من أخطاء في حق الدولة ثم أمر بقتله(١).

ثالثًا: ثورة محمد النفس الزَّكيَّة :

هو : "محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب" المعروف بالنفس الزَّكيَّة ، زعيم البيت العلوى والشيعة ومنذ مقتل الإمام علي – كرم الله وجهه – والشيعة يحاولون الوصول إلى مقعد الحكم عن طريق الثورات والخروج على السلطة، باعتبارهم أصحاب الحق الشرعي .

وبقيام الدولة العباسية وتولي العباسيين الخلافة انتقل صراع العلويين على الخلافة من محاربة الأمويين إلى محاربة أبناء عمومتهم العباسيين .

وعلى الرغم من أن أسرة **محمد النفس الزَّكيَّة** ، لم تتخذ موقفًا عدائيًّا واضحًا في بدء الخلافة العباسية فإن الأمر تغير حين تولى "**أبو جعفر المنصور**" الخلافة وبدأ يتعقب "**محمدًا النفس الزَّكيَّة**" وأخاه " **إبراهيم**" اللذين اختفيا وأخذا يعملان سرًا في الدعوة لنفسيهما والخروج على الدولة العباسية، ولما فشل "**أبو جعفر المنصور**" في القبض على "**محمد النفس الزَّكيَّة**" أمر بالقبض على عدد كبير من أفراد أسرته، وحملهم إلى سجون "**العراق**" وعذبهم لإرغام" **محمد النفس الزَّكيَّة**" على الظهور، وقد نجح " **أبو جعفر**" في ذلك؛ فظهر "**محمد النفس الزَّكيَّة**" في "**المدينة المنورة**" في (رجب سنة ١٤٥هـ-سبتمبر سنة٧٦٢م) وقتله العباسيون هناك ، كما قتلوا أخاه " **إبراهيم**" بالعراق، وكثيرًا من أهلها(٢).

رابعًا: ثورات الفرس :

واجهت الخلافة العباسية في عهد **أبي جعفر** عدة ثورات فارسية، كانت تعبيرًا عن معارضة بعض العناصر الفارسية للخلافة الإسلامية، ومن هذه الثورات؛ حركة سُنباذ سنة (١٣٧هـ-٧٥٤م)، حركة الروانديه (١٤١هـ-٧٥٨م)، حركة أستاذ سيس سنة (١٥٠هـ-

---

(١) ينظر: الكامل لابن الأثير، ٥٦/٥، ٥٧، وموسوعة سفير للتاريخ الإسلامي ٦/٣.

(٢) الأعلام للزركلي، ٦/ ٢١٩، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر- أيار، مايو- ٢٠٠٢م.

٧٦٧م) [١].

خامسًا: حركات الخوارج :

نظر الخوارج إلى العباسيين على أنهم مغتصبون للخلافة التي ينبغي أن يتقلدها أحد المسلمين بها بالانتخاب، بغض النظر عن نفسه ، ومن ثم شهد العصر العباسي الأول عددًا من حركات الخوارج، بغرض القضاء على الخلافة العباسية، ومنها : ثورة ملبد بن حرملة الشيباني سنة (١٣٧هـ-٧٤٥م)، ثورة حسان بن مجالد الهمداني بالموصل سنة (١٤٨هـ-٧٦٥م) [٢].

صفته :

قال الربيع : كان **المنصور** يصلي الفجر ثم يجلس وينظر في مصالح الرعية إلى أن يصلّي الظهر، ثم يعود إلى ذلك إلى أن يصلّي العصر، ثم يعود إلى أن يصلّي المغرب؛ فيقرأ ما بين المغرب والعشاء الآخرة، ثم يصلي العشاء ويجلس مع سُماره إلى ثلث الليل الأول، فينام الثلث الأوسط ثم ينتبه إلى أن يصلي الفجر، ويقرأ في المصحف إلى أن ترتفع الشمس فيجلس للناس، فكان هذا دأبه[٣].

شخصية أبي جعفر المنصور :

تربى وسط كبار الرجال من بني هاشم، فنشأ فصيحًا عالمًا بسير الملوك والأمراء، ودرس النحو والتاريخ والأدب شعرًا ونثرًا وغير ذلك، كما كان كثير الأسفار والتنقل، وكان شجاعًا ذا هيبةٍ وحزمٍ ورأيٍ وجبروتٍ، فقد كان تاركًا للهو واللعب، كاملًا للعقل، جيد المشاركة في العلم والأدب، فقيهًا، فصيحًا بليغًا، مفوهًّا، خليقًا للإمارة، وكان غاية في الحرص والبخل، فلقب: أبا الدوانيق، لمحاسبته العمال والصناع على الدوانيق والحبات، **وأخرج ابن عساكر عن أبي سعيد الخدري** -رضي الله عنه- **قال : سمعت النبي** -ﷺ- **يقول: منا القائم، ومنا المنصور، ومنا السفاح، ومنها المهدي، فأما القائم فتأتيه الخلافة ولم يهراق فيها محجمة من دم، وأما المنصور فلا ترد له راية، وأما السفاح فهو يسفح المال والدم، وأما المهدى يملأها عدلًا كما**

---

(١) ينظر: الكامل لابن الأثير ، ٦٦/٥، ٦٧، وموسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، ٧/٣.

(٢) ينظر: الكامل لابن الأثير، ٦٧/٥-٧٨، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي،٨/٣.

(٣) ينظر: النجوم الزاهرة ، ٣٣/٢، ٣٤، تاريخ الخلفاء للسيوطي، تحقيق/ حمدي الدمرداش، ص١٩٣، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

ملئت ظلمًا[١].

وفاته :

توفي "**أبو جعفر**" في (٦ من ذي الحجة سنة ١٥٨هـ-٧ أكتوبر سنة٧٧٥م) وهو في طريقه إلى الحج ، وصلى عليه عيسى بن موسى بن محمد، فكانت خلافته اثنين وعشرين سنة إلا أربعة وعشرين يومًا، ومات وهو ابن ثمان وستين سنة[٢].

ثانيًا : التعريف بـ(محمد النفس الزَّكيَّة):

اسمه :

هو: محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسين بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- ، ويكنى أبا عبد الله ويلقب بالأرقط وبالمهدي وبالنفس الزَّكيَّة، وأمه: هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وكان يقال له: صريح قريش لأنه لم يقم عنه أم ولد في جميع آبائه وأمهاته وجداته ، ولد ونشأ بالمدينة[٣].

شخصية محمد النفس الزَّكيَّة :

كان أهل بيته يسمونه المهدي، ويقدرون أنه الذي جاءت فيه الرواية، وكان علماء آل أبي طالب يرون فيه أنه النفس الزَّكيَّة، وأنه المقتول بأحجار الزيت، وكان من أفضل أهل بيته، وأكبر أهل زمانه في زمانه ، في علمه بكتاب الله وحفظه له ، وفقهه في الدين ، وشجاعته، وجوده، وبأسه، وكل أمر يجمل بمثله، حتى لم يشك أحد أنه المهدي؛ وقيل: وكان قليل الحديث يلزم البادية ويحب الخلوة[٤].

خروجه على أبي جعفر المنصور :

لما بدأ الانحلال في دولة بني أمية بالشام، اتفق رجال من بني هاشم بالمدينة على بيعته سرًا، وفيهم بعض بني العباس، وقيل: كان من دعاته **أبو العباس "السفاح" وأبو جعفر** "

---

(١) ينظر : تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، دراسة وتحقيق/ محب الدين أبو سعيد،٣٢/ ٣٠٢، دار الفكر للطباعة والنشروالتوزيع، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

(٢) ينظر تاريخ الخلفاء، ص ١٩٣، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي ، ٨/٣.

(٣) ينظر: مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق/ السيد أحمد صقر، ص ٢٠٧، دار المعرفة ، بيروت (د - ت) ، الأعلام للزركلى ٦/ ٢١٩.

(٤) ينظر: مقاتل الطالبيين، ص٢٠٧، والتحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي، ٤٢٩/٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

المنصور" ثم ذهب ملك الأمويين، وقامت دولة العباسيين، وعلى الرغم من أن أسرة "**محمد النفس الزَّكيَّة**" لم تتخذ موقفًا عدائيًا واضحًا في بدء الخلافة العباسية، فإن الأمر تغير حين تولَّى " **أبو جعفر المنصور**" الخلافة وتخلف عنه، " **محمد النفس الزَّكيَّة**"، وأخيه "**إبراهيم**"، ولم يخف على " **المنصور**" ما في نفسه، فطلبه وأخاه فتواريا في المدينة، فقبض على أبيهما واثني عشر من أقاربهما، وعذبهم وتوفي في حبسه بالكوفة بعد سبع سنين، وقيل: طرحهم في بيت وطَّين عليهم حتى ماتوا. وعلم **محمد النفس الزَّكيَّة** بموت أبيه، فخرج من مخبئه ثائرًا، في مئتين وخمسين رجلًا، فقبض على أمير المدينة، وبايعه أهلها بالخلافة. وأرسل أخاه **إبراهيم** إلى البصرة فغلب عليها وعلى الأهواز وفارس وبعث الحسن بن معاوية إلى مكة فملكها، وبعث عاملًا إلى اليمن، وكتب إليه **المنصور** يحذّره عاقبة عمله، ويمنّيه بالأمان وواسع العطاء ، وتتابعت بينهما الرسل(١).

وفاته :

انتدب المنصور لقتاله **عيسى بن موسى العباسي**، فسار إليه **عيسى** بأربعة آلاف فارس فقاتله **محمد** بثلاثمئة على أبواب المدينة، وثبت لهم ثباتًا عجيبًا، فقتل منهم بيده في إحدى الوقائع سبعين فارسًا، ثم تفرق عنه أكثر أنصاره، فقتله **عيسى** في المدينة في (نصف رمضان سنة١٤٥هـ) وله ثلاث وخمسين سنة وبعث برأسه إلى **المنصور**، وكان شديد السمرة، ضخمًا(٢).

ثالثًا: الرسائل المتبادلة بين أبي جعفر المنصور ومحمد النفس الزّكيّة:

" بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبد الله:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤ ﴾

[المائدة، الآية : ٣٣، ٣٤] ولَكَ عليَّ عَهْدُ اللهِ وَمِيثَاقُهُ وَذِمَّتُه وذِمَّةُ رَسُولِهِ – ﷺ– إن ثُبْتَ ورجَعْتَ مِن قَبْلِ أَنْ أَقْدِرَ عليك أَنْ أُؤَمِّنَكَ، وجميعَ وَلَدِكَ، وَإِخْوَتِكَ، وَأَهْلَ بَيْتِكَ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ عَلَى دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَأُسَوِّغُكَ مَا أَصَبْتَ مِنْ دَمٍ أَوْ مَالٍ، وَأُعْطِيَكَ أَلْفَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ،

---

(١) ينظر : الأعلام للزركلي، ٦/٢١٩، ٢٢٠، موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي ١٣/٩١.

(٢) ينظر: الأعلام ، ٦/٢٢٠.

وَمَا سَأَلْتَ مِنَ الحَوَائِجِ، وَأُنْزِلُكَ مِنَ البِلَادِ حَيْثُ شِئْتَ، وَأَنْ أُطْلِقَ مَنْ فِي حَبسِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، وَأَنْ أُؤَمِّنَ كُلَّ مَنْ جَاءَكَ وَبَايَعَكَ وَاتَّبَعَكَ، أَوْ دَخَلَ مَعَكَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ، ثُمَّ لَا أَتَّبِعُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِشَيْءٍ كَانَ مِنْهُ أَبَدًا فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَتَوَثَّقَ لِنَفْسِكَ، فَوَجِّهْ إِلَيَّ مَنْ أَحْبَبْتَ يَأْخُذُ لَكَ مِنَ الأَمَانِ والعَهْدِ والمِيثَاقِ مَا تَثِقُ بِهِ".

" بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله المهدي محمد بن عبدالله إلى عبدالله بن محمد: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ۝٦﴾ (القصص: ١-٦) وَأَنا أَعرضُ عليكَ مِن الأمانِ مثلَ الذي عرضْتَ علىَّ، فَإِنَّ الحقَّ حقُّنا، وإنَّما ادَّعيْتُم هذا الأمرَ بنَا، وخرجْتُم له بشِعَتِنَا، وحَظِيْتُم بفضْلِنَا، وَإِنَّ أَبَانَا عليًّا كانَ الوصيَّ وكانَ الإمامَ، فكيْفَ وَرِثْتُم وِلَايتَهُ وولدُهُ أحياءٌ !؟ ثُمَّ قَد عَلِمْتَ أَنَّهُ لمْ يطلُبِ هذَا الأمرَ أحدٌ لهُ مِثْلُ نَسَبِنَا وشَرَفِنَا وحَالِنَا وشَرَفِ آبائِنَا ، لَسْنَا مِن أَبْنَاءِ اللُّعناءِ ولا الطُّرداءِ ولا الطُّلَقَاءِ، ولَيْسَ يَمُتُّ أحدٌ منْ بني هاشِمٍ بِمِثْلِ الَّذِى نَمُتُّ بِهِ مِنْ القُرَابَةِ والسَّابِقَةِ والفَضْلِ، وإنَّا بنُو أُمِّ رسُولِ الله ـ ﷺ ـ فاطمةَ بنتِ عمرو في الجاهليَّةِ وبنُو بنتِهِ فاطمةَ في الإسلامِ دُونَكُم.

إِنَّ الله اخْتَارَنَا واخْتَارَ لنَا، فَوَالِدُنَا من النبيينَ محمد ـ ﷺ ـ ومِنَ السَّلَفِ أَوَّلُهُم إِسْلَامًا عَلِيٌّ، ومِنَ الأَزْوَاجِ أَفْضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ الطَّاهِرَةُ، وأَوَّلُ مَنْ صَلَّى القِبْلَةَ ، وَمِنَ البَنَاتِ خيرُهُنَّ فاطِمَةُ سيِّدَةُ نِساءِ أَهْلِ الجنَّةِ، وَمِنَ المَوْلودِين في الإِسْلامِ حسَنٍ وحُسَينٌ سيِّدَا شبابِ أَهْلِ الجنَّةِ ، وَإِنَّ هاشِمًا وَلَدَ عليًّا مَرَّتَيْنِ ، وَإِنَّ عَبْدَ المُطَّلِبِ وَلَدَ حَسَنًا مَرَّتَيْنِ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَلَدَنِي مَرَّتَيْنِ مِنْ قِبَلِ حَسَنٍ وَ حُسَيْنٍ ، وَإِنِّي أَوْسَطُ بَنِي هاشِمٍ نَسَبًا ، وَأَصْرَحُهُمْ أَبًا ، لَمْ تُعَرِّقْ فِيَّ العَجَمُ، وَلَمْ تُنَازَعْ فِيَّ أُمَّهَاتُ الأَوْلَادِ، فَمَا زَالَ اللهُ يَخْتَارُ لِي الآبَاءَ والأُمَّهَاتِ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ حَتَّى اخْتَارَ لي في النَّارِ، فَأَنَا ابْنُ أَرْفَعِ النَّاسِ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ ، وَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا فِي النَّارِ، وَأَنَا ابْنُ خَيْرِ الأَخْيَارِ ، وابْنُ خَيْرِ الأَشْرَارِ ، وَابْنُ خَيْرِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، و ابْنُ خَيْرِ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكَ اللَّهُ عَلَيَّ إِنْ دَخَلْتَ فِي طَاعَتِي ، وَأَجَبْتَ دَعْوَتِي أَنْ أُؤَمِّنَكَ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ ، وَعَلَى كُلِّ أَمْرٍ أَحْدَثْتَهُ ، إِلَّا حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللهِ أَوْ حَقًّا لِمُسْلِمٍ أَو مُعَاهِدٍ، فَقَد عَلِمْتَ مَا يَلْزَمُكَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنَا أَوْلَى بِالْأَمْرِ مِنكَ وَأَوْفَى بِالعَهْدِ، لِأَنَّكَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ العَهْدِ وَالْأَمَانِ مَا

أَعْطَيْتُهُ رِجَالًا قَبْلِي، فَأَيُّ الْأَمَانَاتِ تُعْطِينِي! أَمَانُ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، أَمْ أَمَانُ عَمِّكَ عبدِ الله بنِ عَلِيٍّ، أَمْ أَمَانُ أبي مُسْلِمٍ !؟" .

"بسم الله الرحمن الرحيم أمَّا بَعْدُ، فَقَد بَلَغَنِي كَلامُكَ، وقَرَأْتُ كِتَابَكَ ، فَإِذَا جُلُّ فَخْرِكَ بِقَرَابَةِ النِّساءِ، لِتُضِلَّ بِهِ الجُفَاةَ والغَوْغَاءَ ولَمْ يجعلِ اللهُ النِّساءَ كالعُمُومَةِ والآباءِ، وَلا كَالعَصَبَةِ والأَولياءِ، لأنَّ الله جَعَلَ العَمَّ أبًا، وَبَدَأَ بِهِ في كِتَابِهِ على الوالِدَةِ الدُّنْيَا وَلَو كَانَ اختيارُ اللهِ لهُنَّ على قَدْرِ قَرابَتِهِنَّ كانتْ آمِنَةُ أَقْرَبَهُنَّ رَحِمًا، وَأَعْظَمَهُنَّ حَقًّا، وأَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ غَدًا، ولكنَّ اخْتِيَارَ اللَّهِ لِخَلْقِهِ عَلى عِلمِهِ لِمَا مَضَى مِنْهُمْ، واصْطِفَائِهِ لَهُم.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِن فَاطِمَةَ أَمِّ أَبِي طَالِبٍ وَوِلَادَتِهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ لَم يَرزُقْ أحدًا مِنْ وَلِدِهَا الإسلام لابِنْتًا ولا ابنًا، وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا رُزِقَ الإِسْلَامَ بالقَرَابَةِ رُزِقَهُ عبدُ اللهِ أَوْلَاهُمْ بِكُلِّ خيرٍ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَكِنَّ الأَمْرَ لِلَّهِ يَخْتَارُ لِدِينِهِ مَنْ يَشَاءُ ، قال الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾ [القصص من الآية (٥٦)]، وَلَقَد بَعَثَ اللهُ محمَّدًا –عليه السلام – ولَهُ عُمُومَةٌ أَرْبَعَةٌ فَأَنزَلَ الله عز وجل – : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ ﴾ [الشعراء ، الآية (٢١٤)] فَأَنْذَرَهُم ودَعَاهُم، فَأَجَابَ اثْنَانِ أَحَدُهُمَا أَبِي ، وَأَبَى اثنان أحدُهُمَا أَبُوكَ ، فَقَطَعَ اللهُ ولايَتَهُمَا مِنْهُ ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَينَهُ وَبَيْنَهُمَا إِلَّا وَلَا ذمَّةً ولا مِيرَاثًا، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ ابْنُ أَخَفَّ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا وابْنُ خَيْرِ الأَشْرَارِ، وَلَيْسَ في الكُفْرِ باللهِ صَغِيرٌ وَلَا فِي عَذَابِ اللهِ خَفِيفٌ وَلا يَسِيرٌ، وَلَيْسَ فِي الشَّرِّ خِيَارٌ، وَلَا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ أَنْ يَفْخَرَ بالنَّارِ، وَستَرِدُ فَتَعْلَمُ ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧ ﴾ [الشعراء ، من الآية (٢٢٧)].

وَأَمَّا مَا فَخَرْتُ بِهِ مِن فَاطِمَةَ أُمِّ علي وَإِنَّ هَاشِمًا وَلَدَهُ مرتين ، وَمِنْ فاطمة أمِّ حسنٍ، وَأَنَّ عَبْدَ المُطَّلِبِ وَلَدَهُ مَرَّتَيْنِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ –ﷺ– وَلَدَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَخَيرُ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ رَسُولُ الله – ﷺ– وَلَمْ يَلِدْهُ هاشِمٌ إِلَّا مَرَّةً وَلا عَبْدُ المُطَّلِب إِلَّا مَرَّةً .

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ أَوْسَطُ بَنِي هَاشِمٍ نَسَبًا، وَأَصْرَحُهُم أَمًّا وَأَبًا، وَأَنَّهُ لَم يَلِدْكَ العَجَمُ وَلَمْ تُعَرِّقْ فِيكَ أُمَّهَاتُ الأَوْلَادِ، فَقَدْ رَأَيْتُكَ فَخَرْتَ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ طُرًّا، فَانْظُر، وَيْحَكَ، أَيْنَ أَنتَ مِنَ اللَّهِ غَدًا! فَإِنَّكَ قَدْ تَعَدَّيْتَ طَوْرَكَ ، وَفَخَرْتَ عَلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ نَفْسًا وَأَبًا وَأَوَّلًا وآخرًا، إبراهيمُ بن رسولِ الله –ﷺ– وعلى وَالِدٍ وَلَدَهُ، ومَا خَيَارُ بَنِي أَبِيكَ خَاصَّةً وَأَهْلُ الْفَضْلِ مِنْهُمْ إِلَّا بَنُو أُمَّهَاتِ أَوْلَادٍ ، وَمَا وُلِدَ فِيكُمْ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ الله ﷺ أفضلُ مِنْ عَلِّي ابن حُسينٍ، وهُوَ لِأُمِ وَلَدٍ ، وَلَهُوَ خَيْرٌ مِن جَدِّكَ حَسنٍ بن حَسَنٍ ، وَمَا كَانَ فِيكُم بَعْدَهُ مِثْلُ ابْنِهِ مُحمد بنِ عَلِّي ، وَجَدَّتُهُ أُمُ وَلَدٍ، وَلَهُوَ خَيْرٌ مِنْ أَبِيكَ وَلَا مِثْلُ ابْنِهِ جَعْفَرٍ وَجَدَّتُهُ أُمُّ وَلَدٍ ، وَلَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ.

وَأَمَّا قولك : إنكم بنو رسول الله ﷺ فإن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ

أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب من الآية (٤)] وَلَكِنَّكُم بَنُو ابنتَهُ، وَإِنَّهَا لَقَرابَةٌ قَرِيبةٌ، وَلَكِنَّهَا لَا تَحُوزُ المِيْرَاثَ، وَلَا تَرِثُ الوِلَايةَ، وَلَا تَجُوزُ لَهَا الإِمَامَةُ، فَكَيْفَ تُورَثُ بِهَا!؟ وَلَقَدْ طَلَبَهَا أَبُوكَ بِكُلِّ وَجْهٍ فَأَخْرَجَهَا نَهَارًا، وَمَرَّضَهَا سِرًّا، وَدَفَنَهَا لَيْلًا، فَأَبَى النَّاسُ إِلَّا الشَّيْخَيْنِ وَتَفْضِيلِهِمَا، وَلَقَدْ جَاءَتِ السُّنَّةُ التِي لا اخْتِلَافَ فِيهَا بَيْنَ المسلمين أَنَّ الجَدَّ أَبَا الأُمِّ والخَالَ والخَالَةَ لا يُورَثُونَ.

وَأَمَّا مَا فَخَرْتُ بِهِ مِن عَلِيٍّ وَسَابِقَتِهِ ، فَقَدْ حَضَرَتْ رَسُولَ الله –ﷺ– الوَفَاةُ ، فَأَمر غَيْرهُ بالصلاة ، ثُمَّ أَخَذَ النَّاسُ رَجُلًا بَعْدَ رَجُلٍ فلم يأخُذُوهُ ، وكَانَ في السِّتَّةَ فَتَرَكُوهُ كُلُّهُم دَفْعًا لَهُ عَنْهَا، وَلَمْ يَرَوْا لهُ حَقًّا فِيهَا ، وَأَمَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَدَّمَ عَلَيْهِ عُثْمَانَ ، وقتل عثمان وَهُوَ لَهُ مُتَّهِمٌ ، وَقَاتَلَهُ طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ ، وَأَبِي سَعْدٌ بَيْعَتَهُ ، وَأَغْلَقَ دُونَهُ بَابَهُ ، ثُمَّ بَايَعَ مُعَاوِيَةَ بَعْدَهُ ثُمَّ طَلَبَهَا بِكُلِّ وَجْهٍ وَقَاتَلَ عَلَيْهَا ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَشَكَّ فِيهِ شِيْعَتُهُ قَبْل الحُكُومَةِ، ثُمَّ حَكَّمَ حَكَمَينِ رَضِيَ بِهِمَا، وَأَعْطَاهُمَا عَهْدَهُ وميثَاقَهُ ، فاجتمَعَا على خَلْعِهِ ثُمَّ كَانَ حَسَنٌ فَبَاعَهَا مِن مُعَاوِيةَ بِخَرقٍ وَدَرَاهِمَ وَلَحِقَ بالحِجَازِ ، وأَسْلَم شيعته بيدِ مُعاوية ودَفَع الأمْرَ إلى غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَأَخَذَ مَالًا مِنْ غَيْرِ وَلَايَةٍ وَلَا حِلِّهِ ، فَإِنْ كَانَ لكم فيها شَئٌ فَقَد بِعْتُمُوهُ وَأَخَّذْتُم ثَمَنَهُ. ثُمَّ خَرَجَ عَمُّكَ حُسَينٌ بن علي عَلَى ابن مَرْجَانة ، فكَانَ النَّاس مَعهُ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلُوهُ ، وَأَتَوا برأسِهِ إليه ، ثُمَّ خَرَجْتُم عَلى بَنِي أُمَيَّةَ ، فَقَتَلُوكُمْ وَصَلَبُوكُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْل ، وَأَحْرَقُوكُمْ بِالنِّيرَانِ ، وَنَفَوْكُم مِنْ البُلْدَانِ ، حَتَّى قُتِلَ يَحْيَى بن زَيْدِ بُخْرَاسَانِ ، وَقَتَلُوا رِجَالَكُم وَأَسَرُوا الصِّبْيَة والنِّسَاءَ، وحَمَلُوهُم بِلَا وِطَاءٍ فِي المَحَافِلِ كالسَّبي المَجْلُوبِ إِلى الشَّامِ، حتَّى خَرَجْنَا عَلَيْهِم فَطَلَبْنَا بِثَأْرِكُمْ ، وَأَدْرَكنَا بِدمَائِكُمْ وَأَوْرَثْنَاكُمْ أَرْضَهُم وديَارَهُم ، وسَنَّيْنَا سَلَفَكُمْ وَفَضَّلْنَاهُ ، فَاتَّخَذْتَ ذَلِكَ عَلَيْنَا حُجَّةً .

وَظَنَنْتَ أَنَّا إِنَّما ذَكَرْنَا أَبَاكَ وَفَضَّلْنَاهُ لِلتَّقْدِمَةِ مَنَّا لَهُ عَلَى حمْزَةَ والعَبَاسِ وَجَعْفَرٍ ، وَلَيْسَ ذَلِك كَمَا ظَنَنْتَ ، وَلَكِن خَرَجَ هَؤُلاءِ من الدُّنْيا سَالِمِينَ ، مُتَسَلَّمًا مِنْهُم ، مُجْتَمَعًا عَلَيْهِمْ بِالفَضْل ، وابْتَلي أَبُوكَ بالقِتَالِ والحَرْبِ ، وكَانَت بنُو أُمية تلعَنُه كَمَا تَلْعَنُ الكَفَرةَ في الصَّلاةِ المكْتُوبَةِ، فاحْتَجَجْنَا لَهُ، وذَكَّرنَاهُم بِفَضْلِهِ، وعَنَّفْنَاهُمْ وظَلَمْنَاهُمْ بِمَا نَالُوا مِنْهُ، وَلَقَد عَلِمْتَ أَنَّ مَكْرُمَتَنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ سِقَايَةُ الحَجِيج الأَعظَمِ، وَوِلايَةُ زَمزَمَ، فَصَارَت للعبَّاس مِنْ بين إِخْوتِهِ، فَنَازَعَنَا فِيهَا أَبُوكَ، فَقَضَى لنَا عَليهِ عُمَرُ، فَلَمْ نَزَلْ نَلِيهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ والإِسْلام، وَلَقَد قَحَطَ أَهْلُ المدينةِ فَلمْ يُتَوسَّلْ عُمَرُ إِلَى رَبِّه وَلَمْ يَتَقَّربْ إِليهِ إِلا بِأَبِينَا، حَتَّى نَعَشَهُم اللهُ وَسَقَاهُم الغَيْثَ، وَأَبُوكَ حَاضِرٌ فَلَمْ يُتَوسل بِهِ، وَلَقَد عَلِمْتَ أَنَّهُ لَم يَبْقَ أَحَدٌ مِن بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ بعدَ النبي –ﷺ– غَيرهُ ، فكَانَ وراثَةٌ مِن عُمُومَتِهِ، ثُمَّ طَلَبَ هَذا الأمْرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِن بَنِي هَاشِمٍ فَلَم يَنَلهُ إِلَّا وَلَدُهُ، فالسِّقايَةُ سِقَايَتُهُ، ومِيرَاثُ النَّبي لَهُ، والخِلافَةُ فِي وَلَدِهِ، فَلَم يَبْقَ شَرَفٌ وَلا

فَضْلٌ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلا إِسْلامٍ فِي دُنْيَا وَلا آخِرَةٍ إلا والعَبَّاسُ وَارِثُهُ وَمُوَرِّثُهُ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِن بَدْرٍ، فَإِنَّ الإِسْلَامَ جَاءَ والعَبَّاسُ يُمَوِّنُ أَبَا طَالِبٍ وَعِيالَهُ، وَيُنْفِقُ عَلَيْهِمْ لِلأَزْمَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُ ، وَلَولا أَنَّ العَبَّاسَ أُخْرِجَ إِلَى بَدرٍ كَارِهًا لَمَاتَ طَالِبٌ وعَقِيلٌ جُوعًا، وَلَلَحَسَا جِفَانَ عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ، وَلَكِنَّه كَانَ مِنْ المُطْعِمِين، فَأَذْهَبَ عَنْكُمُ العَارَ والسُّبَّة ، وَكَفَاكُم النَّفَقَةَ والمَئُونَةَ ، ثُمَّ فَدَى عَقِيلًا يَوْمَ بَدْرٍ ، فَكَيْفَ تَفْخَرُ عَلَيْنَا وَقَدْ عُلْنَاكُمْ فِي الكُفْرِ وَفَدَيْنَاكُم مِن الأَسْرِ، وحُزْنَا عَلَيْكُمْ مَكَارِمَ الآباء، وَوَرِثْنَا دُونَكُم خَاتَمَ الأَنْبِيَاء، وَطَلَبنَا بِثَأْرِكُمْ فَأَدْرَكْنَا مِنْهُ مَا عَجَزْتُم عَنْهُ ، وَلَمْ تُدْرِكُوا لأَنْفُسِكُمْ ، والسَّلامُ عَليكَ ورحمةُ الله".

رابعًا: مفهوم الحجاج ، وعلاقته بالبلاغة :

الحجاج في اللغة :

يقول ابن منظور: الحَجُّ : القصدُ، وَحَجَّهُ يحُجُّهُ حجًا قَصَدَه، والحُجَّةُ: البُرهانُ، وقيل: الحُجَّة ما دُوفعَ به الخَصمُ، وقال الأزهري: الحُجَّةُ الوجهُ الذي يكونُ بهِ الظَّفرُ عند الخُصُومةِ، والتَّحاجُّ: التَّخاصُم ، وجمعُ الحُجَّةَ: حُجَجٌ وحِجَاجٌ. وحاجَّهُ مُحَاجَّةً وحِجَاجًا: نازعَهُ الحُجَّة، وحَجَّهُ يحُجَّهُ حَجًّا: غَلَبَهُ على حُجَّتِهِ. واحتَجَّ بالشَّيء: اتخَذَهُ حُجَّةً، وسُميت حُجَّة لأنها تُحَجُّ أي تُقْصدُ لأن القصدَ لَهَا وإِلَيْهَا(١).

وفي التعريفات الحجة: ما دل بها على صحة الدعوى(٢)، وعلى هذا فإن المعنى اللغوي للحجاج يدور حول الدليل والبرهان، والظفر بالخصم والغلبة عليه .

الحجاج في الاصطلاح :

كثرت تعريفات الحجاج وتعددت مفاهيمه، وخاصة التي تتصل منها بالحجاج البلاغي، من هذه التعريفات أن الحجاج هو: " كل منطوق به موجه إلى الغير؛ لافهامه دعوى مخصوصة ، يحق له الاعتراض عليها"(٣).

وعرفه **د/ رضوان الرقبي** بأنه:" إيراد الحجج المثبتة لدعوى المتكلم، ويكون تخيليًا إبهاميًا

---

(١) ينظر لسان العرب ، دار المعارف، مادة : (حجج).

(٢) التعريفات للشريف الجرجانى، ص٨٢، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٣) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د/ طه عبد الرحمن، ص ٢٢٦، المركز الثقافي العربي / الدار البيضاء، ط/١٩٩٨.

أو عقليًا"[١]. .

وجاء تعريف **جميل عبد المجيد** للحجاج على أنه:" خطاب يستهدف استمالة عقل المتلقي، والتأثير على سلوكه؛ أي الإقناع"[٢].

فالمعنى الاصطلاحي للحجاج يدور حول تحقيق الإقناع لدى المتلقي والتأثير فيه بعيدًا عن العنف والإكراه[٣].

الحجاج وعلاقته بالبلاغة :

لما كانت الغاية من الحجاج التأثير فى العقول لإقناعها، والوصول إلى القلوب لإمتاعها، كان وثيق الصلة بالبلاغة؛ فهي تقوم على الإمتاع والإقناع فـ" المكونات الأسلوبية والبلاغية من أهم ما يحقق ... والإقناع، فأغلبية العناصر الأسلوبية من نفي وشرط وتأكيد وعناصر بلاغية وأدوات ربط وعطف...الخ، تعتبر كلها موجهات تعبيرية ذات دور حجاجي كبير"[٤]، وقد تنبه البلاغيون في مختلف العصور إلى القيمة الحجاجية للأساليب البلاغية، من هؤلاء البلاغيين الإمام عبدالقاهر، فنراه يكشف عن القيمة الحجاجية لبعض الأساليب البلاغية كالتمثيل وأثره إذا جاء في أعقاب المعاني ، فيقول:" واعلم أن مما اتفق عليه العقلاء أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب إليها ... وإن كان حجاجًا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر"[٥].

كما أن **حازم القرطاجني** تنبه إلى الأثر الذي تحدثه البلاغة في النفوس، فيقول:" لما كان

---

(١) الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، مج ٤٠، ٢٠١١م، ص٧٢.

(٢) البلاغة والاتصال، جميل عبدالمجيد، ص٧، دار غريب/ القاهرة (د-ط)،٢٠٠٠م.

(٣) الروابط الحجاجية فى شعر أبي الطيب المتيني (مقاربة تداولية)، إعداد الطالبة/خديجة بو حشرة، ص ٢١، ٢٢، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران،٢٠١٠م.

(٤) الحجاج في البلاغة المعاصر، د/ محمد سالم محمد الأمين الطلبة، ص١١٥، ١١٦، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط: الأولى، ٢٠٠٨م (بتصرف).

(٥) كتاب أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه أبو فهر/ محمود محمد شاكر، ص ١١٥، دار المدني بجدة، مطبعة المدني، ط: الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

علم البلاغة مشتملًا على صناعتي الشعر والخطابة، وكان الشعر والخطابة يشتركان في مادة المعاني وتفترقان بصورتى التخييل والإقناع .. كان القصد في التخييل والإقناع حمل النفوس على فعل شئ أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده ..." (١).

وعلى هذا فإنَّ "حاجة البلاغة للحجاج تكون بقدر حاجته لها، فالحجاج يمثل رافدًا يستقي منه القدرة على كسب المصداقية، والبلاغة بالنسبة للحجاج هي المصدر الذي يأخذ منه الأدوات والأساليب في التعبير لكي يستطيع التأثير في المتلقي وإقناعه"(٢).

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق/ محمد الحبيب ابن الخوجة، ص٤، دار الكتب الشرقية، (د.ت) (بتصرف).

(٢) البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي، إعداد الطالبة/ شيخ آمال، ص ٦٤، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية المسيلة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية،٢٠١١م.

المبحث الأول:

بلاغة الخطاب الحجاجي في رسالة أبي جعفر المنصور إلى محمد النفس الزّكيّة.

نص الرسالة:

" بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبد الله: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤ ﴾ **[المائدة، الآية : ٣٣، ٣٤] ولَكَ عليَّ عَهْدُ اللهِ وَمِيثَاقُهُ وَذِمَّتُه وذِمَّةُ رَسُولِهِ – ﷺ– إن ثُبْتَ ورجَعْتَ مِن قَبْلِ أَنْ أَقْدِرَ عليك أَنْ أُؤَمِّنَكَ، وجميعَ وَلَدِكَ، وَإِخْوَتِكَ، وَأَهْلَ بَيْتِكَ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ عَلَى دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَأُسَوِّغُكَ مَا أَصَبْتَ مِنْ دَمٍ أَوْ مَالٍ، وَأُعْطِيَكَ أَلْفَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَمَا سَأَلْتَ مِنَ الحَوَائِجِ، وَأُنْزِلُكَ مِنَ البِلَادِ حَيْثُ شِئْتَ، وَأَنْ أُطْلِقَ مَنْ فِي حَبسِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، وَأَنْ أُؤَمِّنَ كُلَّ مَنْ جَاءَكَ وَبَايَعَكَ وَاتَّبَعَكَ، أَوْ دَخَلَ مَعَكَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ، ثُمَّ لَا أَتَّبِعُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِشَيْءٍ كَانَ مِنْهُ أَبَدًا فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَتَوَثَّقَ لِنَفْسِكَ، فَوَجِّهْ إِلَيَّ مَنْ أَحْبَبْتَ يَأْخُذُ لَكَ مِنَ الأَمَانِ والعَهْدِ والمِيثَاقِ مَا تَثِقُ بِهِ))** [(١)].

براعة الاستهلال[(٢)] في بناء الرسالة:

أجاد **أبو جعفر المنصور** حسن الاستهلال لرسالته بما يتواءم مع غايته منها، إذ بدأها بالبسملة، وهذا الاستهلال بمنزلة توطئة واستمالة للمخاطب، كما أن فيه بث روح الرحمة والطمأنينة له، فالبسملة تستغرق كل معاني الرحمة التي تبعث في نفس المتلقي الطمأنينة ، وراحة البال، وانشراح صدره لما يلقى عليه من رسالة إعلامية ، والبسملة فيها إعلام بأن العلاقة بين طرفي الاتصال المبدع والمتلقي قائمة على التراحم فيما بينهما، والبدء بالبسملة من أول

---

(١) تاريخ الطبري – تاريخ الرسل والملوك – للطبري ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، ٥٦٦/٧، دار المعارف – مصر ، ط: الثانية، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

(٢) **براعة الاستهلال:** هو أن يكون الكلام دالًا على ما يناسب حال المتكلم، متضمنًا لما سيق الكلام لأجله من غير تصريح بل بألطف إشارة يدركها الذوق السليم. ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم، حققه وترجم لشعرائه / شاكر هادي شكر، ص٥، مطبعة النعمان – النجف الأشرف، ط : الأولى، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨.

الآداب الإسلامية التي أوحى بها رب البرية لنبيه في أول ما نزل من القرآن وهو قوله تعالى:" اقرأ باسم ربك الذي خلق"[١] .

تحديد طرفي الخطاب (المرسِل – المرسَل إليه) :

بعد أن افتتح **أبو جعفر** رسالته بالبسملة بدأ بتحديد المرسِل **"من عبد الله عبد الله"** فقد عبر بلفظ العبودية، وأضافها لله تعالى، وهذا فيه إقرار بأنه يعرف حق هذه العبودية، ومن ثَم لم يأخذ حقًّا لغيره، ولم يتجنى على ملك لغيره، فالله هو الذي استخلفه في أرضه بالإمارة والخلافة، وهو بذلك يضفي الشرعية على خلافته، وأنه لم يأخذها دون وجه حق، وهذا فيه استمالة للمخاطب، وقد أكد هذه العبودية بجمعه بين اللقب والاسم اللذين يتفقان في الصيغة؛ لتأكيد مدلوليهما في ذهن المخاطب، وهو إظهار منتهى العبودية والطاعة لله، وأنه لم يخرج عن مقتضاها بحال من الأحوال، وهذا فيه مزيد من الطمأنينة للمخاطب.

ثم يأتي **اللقب (أمير المؤمنين)** : الذي يكتنز سلطة عليا تفصح عن مكانته السياسية، والتي ينضوي تحت لوائها كل من سواه من المؤمنين ، فهو الأمير عليهم، والقائد لهم ومن بينهم المخاطب، فليس عليه إلا السمع والطاعة والاستجابة، والالتزام بما يملي عليه ؛ لأن " قيمة الشخص المعترف بها سلفًا من قبل السامعين يمكن اعتبارها مقدمة حجاجية مهمة توظف في تحقيق العديد من النتائج"[٢] وهكذا جاء مدخل **أبي جعفر** مشتملًا على أقصى أساليب الاستمالة والاستدراج؛ فقد جمع بين اللقب والاسم في مستهل خطابه، بما لكل من دلالات تأثيرية، وهذا تأكيد لبراعة الاستهلال.

تحديد المرسَل إليه : "إلى محمد بن عبد الله" يلاحظ أن **أبا جعفر** لم يمنح مخاطبه لقبًا يحقق من خلاله سلطة له ، بل عينَّه باسمه فقط ، فليس في نظر المخاطب بأكثر من ذلك ، وهذا التجريد يقلل من قيمة المرسَل إليه أمام المرسِل ، إذ أطال **أبو جعفر** في تعريف نفسه ، وأوجز في التعريف **بمحمد النفس الزَّكيَّة.**

---

(١) ينظر: الرسائل النبوية (دراسة لسانية نصية) الدكتور / أشرف السيد العربي ، ص٢٣٨، ٢٣٩ ، دار النابغة ، ط: الأولى ، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

(٢) الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر) د/ محمد سالم محمد الأمين الطلبة، ص١٣١، ١٣٢، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط: الأولى،٢٠٠٨م.

ويستثمر **أبو جعفر المنصور** الحجة الدينية الاقتباس[١] من القرآن الكريم في تهديده **محمد النفس الزَّكيَّة** إذا لم يبايعه بالخلافة ، وهي حجة مؤثرة في بداية الخطاب؛ لتزيد إقناع المتلقي، فالآيات القرآنية تعد من الحجج الجاهزة؛ حيث " تكتسب قوتها من قوة مصدرها، ومن مصادقة الناس عليها ، وحسْب الخطيب تدخلًا فيها ، أن يُجيد اختيارها وتوجيهها إلى الغرض المرصودة للاستدلال عليه"[٢]، وقد وظفَّ الآية القرآنية التي جاءت في سياق الحديث عن بني إسرائيل في الرسالة لخدمة القصيد التي تدور حولها الرسالة ، وهي بيان أحقيته بالخلافة ، وكأنه يريد أن يساوي بين **محمد النفس الزَّكيَّة** وبين الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا...، وأنه سيلقى مصيره إن لم يتب ويرجع ويسلم **لأبي جعفر المنصور** ولا ينازعه في إمارة المسلمين، وهو بهذا الاستشهاد يريد أن يضع **محمد النفس الزَّكيَّة** في موقف ضعيف، ونفسه في موطن القوة، وإشباع الرغبة بالتفوق، والتقليل من شأنه ومكانته حتى يصل إلى فكرة أنه لا يستحق الخلافة ، فمن المعهود أن الحجاجيين يركزون على "المقدمات أو المطالع، لأنها أول ما يفتتح به الحجاج ، وعليه التعويل في الاستمالة ومن ثم الاستجابة ، وهي مسئولة عن حل السخائم، واستمالة عواطف المتلقي، وجذبه جذبًا إلى منطقة القضية الأساس، والتدرج به إلى لُبها، والأخذ بيده إلى القناعة بالحجج والبراهين المنطقية المرتبة إلى آخر الخطاب"[٣].

كما أن الاستشهاد بهذه الحجة القرآنية يثير في نفس محمد النفس الزَّكيَّة التهديد والتخويف ويقذف في قلبه الرعب والهول، كما أنها تدل على ثقة بالغة من أبي جعفر المنصور وقدرته البالغة في إنزال هذه العقوبات به إن لم يتخلى عن موقفه نحو الخلافة، والوقوف مع **أبي**

---

(١) الاقتباس: أن يُضمِّنَ المتكلم كلامه من شعر أو نثر كلامًا لغيره بلفظه أو بمعناه ، وهذا الاقتباس يكون من القرآن المجيد، أو من أقوال الرسول -ﷺ- ، أو من الأمثال السائرة، أو من الحكم المشهورة، أو من أقوال كبار البلغاء والشعراء المتداولة، دون أن يعزو المقبس القول إلى قائله. ينظر: البلاغة العربية (أسسها، وعلومها، وفنونها) تأليف/ عبد الرحمن حسن حبنكة ، ٥٣٦/٢، دار القلم – دمشق ، الدار الشامية –بيروت، ط : الأولى ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .

(٢) آليات الإقناع في في الخطابة السياسية في العصر العباسي الأول (١٢٣-٢٤٧هـ)، عرفة حلمي عباس، ص ٤٩، رابطة الأدب الحديث ، العدد ٥٢، مايو -٢٠٠٩م.

(٣) بلاغة الحجاج في الشعر القديم (حجاج الشاعر شفيعًا ومحرِّضًا) دكتور/ محمد سيد علي عبد العال، ص٣٠، مكتبة الآداب ، ط الأولى ، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

جعفر ومناصرته، فهذه الحجة تزيد من إقناع المتلقي، كما أن هذه الآية تتآزر مع تقدمه المخاطب لنفسه بـ "**عبد الله**" فكأنه بذلك يحارب الله ورسوله من خلال محاربة عبد الله القائم بخلافته في أرضه.

بلاغة الحجاج بالقسم:

ثم انتقل **أبو جعفر** بعد ذلك إلى طمأنة **محمد النفس الزَّكيَّة** بما يسهم في الإغراء والاستمالة والإقناع بما يتناسب مع حجم سلطته، فاختار من صيغ القسم "**العهد – الميثاق – الذمة**"، وهذا واضح من خلال قوله: " **ولَكَ عليَّ عَهْدُ اللهِ وَمِيثَاقُهُ وَذِمَّتُه وذِمَّةُ رَسُولِهِ** –ﷺ–" فهي جملة تكشف عن منتهى تأكيد أمنه؛ حيث عدد القسم وجمع له بين عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله، **والعهد:** كل ما عُهد الله عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق، والعهد: الموثق واليمين يحلف بها الرجل، تقول: علي عهد الله وميثاقه، وأخذت عليه عهد الله وميثاقه، وتقول: علي عهد الله لأفعلن كذ، والعهد الوفاء والأمان(١).

والميثاق: العهد، مفعال من الوثاق، وهو في الأصل حبل أو قيد يشد به الأسير والدابة(٢).

والذمة: العهد والكفالة، وفلان له ذمة أي حق، والذمة: الأمانة، والذمة والزِّمام ، وهما بمعنى المعهد، والأمان، والضمان والحرمة والحق(٣).

وهذا التعداد في القسم؛ للمبالغة في التأكيد والإمعان في الاستدراج والإغراء والترغيب، وهذا يكشف لنا عن براعة **أبي جعفر** في معرفة نفسية المخاطب والوقوف على دخيلة نفسه، وأنه لا يثق فيه، ولا يطمئن إلى عهده وكلامه، ولذا أمعن بالتعداد، والدليل على ذلك ما صَرَّح به بعد ذلك **محمد النفس الزَّكيَّة** في خطابه عندما قال:" **فَأَيُّ الْأَمَانَاتِ تُعْطِينِي! أَمَانُ ابْنِ هُبَيْرَةَ، أَمْ أَمَانُ عَمِّكَ عبدِ الله بنِ عَلِيٍّ، أَمْ أَمَانُ أبي مُسْلِمٍ!؟**" ثم أكد هذا العهد بإضافته إلى "**الله**" مما يعطيه قوة وتأكيدًا وتوثيقًا، وهذا مما يبث الطمأنينة والأمن في نفس المتلقي، ويجعله أسرع إلى الاستجابة والإقناع لما يقول.

ومما يدعم هذا الإغراء والاستجابة عطف "**الميثاق**" على "**العهد**" مع إضافته إلى ضمير الجلالة في "**ميثاقه**"، فسياق الإغراء ينادي على التأكيد بالقسم، وتأكيد العهد بالميثاق.

---

(١) ينظر: اللسان، مادة (عهد).

(٢) ينظر: السابق، مادة : (وثق).

(٣) ينظر: السابق، مادة : (ذمم).

ثم نلحظ أن **أبا جعفر** لم يكتفِ في طمأنة **محمد النفس الزَّكيَّةَ** بهذه الإيمان المؤكدة "**بالله**" – تعالى – وإنما عطف عليها ما يتصاعد به التأكيد ويرتقي بالاستمالة والاستدراج؛ حيث عطف على عهد الله وميثاقه وذمته " **ذمَّةُ رَسُولِهِ** – ﷺ–" فوراء هذه الكلمة من الثراء الدلالي ما يجعلها تقف مع أخواتها في تحقيق الاستمالة والاستدراج، والإضافة في "**رسوله**" إضافة تعظيم وتشريف وهي تخلع على هذه الذمة زيادة تشريف وعظم مكانة.

وإيثار **أبي جعفر** للمقسم به " **العهد – الميثاق – الذمة**" مما يخلع على المقسم عليه جلالًا وهيبة وتعظيمًا، فهو حجة تأثيرية لدفع المخاطب للإذعان والاستجابة.

وبهذا يتبين لنا أن أسلوب القسم وسيلة من وسائل الإقناع التي وظفها " **أبو جعفر**" في خطابه الحجاجي فهو " من الصيغ الخطابية المعروفة لدى الإنسان التي كثيرًا ما يستخدمها في عملية تواصله البلاغي بقصد جذب المخاطب إليه، وإقناعه بأمر من الأمور"(١) كما أنه "وسيلة حجاجية لتوكيد الخبر في ذهن السامع مع إزالة الشك ومواجهة الإنكار والجحود"(٢).

ومما زاد من بلاغة الحجاج بالقسم هنا صياغته في قالب أسلوب القصر الذي طريقة التقديم في قوله: " **ولَكَ عليَّ عَهْدُ اللهِ ...**" حيث قدَّم المسند ومتعلقه " **ولَكَ عليَّ**" على المسند إليه لقصر العهد على المخاطب، فجمع بين دلالة القصر الحاسمة ودلالة الالتزام الصريح، وهذا ألصق بالحجاج؛ لأنه أدعى للطمأنينة واستلال الموافقة منه ، بالإضافة إلى التشويق للمقصور الآتي وهذا مما يرسخ المدلول في ذهنه، ففي القصر زيادة عناية واهتمام.

ومما يلاحظ في بناء جملة القسم أن **أبا جعفر** قد وظف الاعتراض بين القسم " **ولَكَ عليَّ عَهْدُ اللهِ ....**" وجوابه " **أَنْ أُؤَمِّنَكَ**" بالجملة الشرطية " **إن ثُبْتَ ورجَعْتَ مِن قَبْلِ أَنْ أَقْدِرَ عليك أَنْ أُؤَمِّنَكَ**" فلم يقل:" **ولَكَ عليَّ عَهْدُ اللهِ ... أَنْ أُؤَمِّنَكَ ... إن ثُبْتَ ورجَعْتَ ...**" وهذا الاعتراض يظهر لنا منتهى حرص **أبي جعفر** على توبة المخاطب وخضوعه ورجوعه قبل أن يمنحه الأمن والطمأنينة، ثم إن هذا الفصل يجعل هذه الجملة التي تفصل بين المتلازمين محل اهتمام وموضع عناية ، وهذا لا يتحقق لو جيء بها متأخرة، فالاعتراض

---

(١) أساليب الإقناع في القرآن الكريم، عيسى باطاهر، ص ١٣٩، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٢) الحجاج ورسائله البلاغية في النثر العربي القديم (رسائل القاضي الفاضل أنموذجًا) دكتور/ أيمن أبو مصطفى، ص٢٢٧، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط: الأولى، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.

وسيلة لغوية ضاغطة ومُمكِّنة للغاية الإقناعية .

وفي التعبير بالزمن الماضي " **تُبْتَ – رجَعْتَ**" ما يدل على زمن الاستقبال؛ وذلك لمصاحبة "**إن**" الشرطية، والتعبير بالفعل الماضي عن المستقبل " أبلغ وأعظم موقعًا لتنزيله منزلة الواقع"(١).

كما أن التعبير بالفعل الماضي " **تُبْتَ – رجَعْتَ**" دون "**أنْ تَتُوبَ –تَرْجِع**" فيه مزيد من الحث على المبادرة والإسراع إلى التوبة، وكأن ذلك أمر ينبغي أن يكون قد وقع، كما أن فيه مزيدًا من التدليل على الاتهام والتباطؤ في الاستجابة من **محمد النفس الزَّكيَّة**

بلاغة الحجاج بالتفصيل والاستقصاء(٢) في الممنوح لهم الأمن :

ومن حسن سياسة **أبي جعفر** الحجاجية اعتماده أسلوب الاستقصاء والتفصيل وتوسيع دائرة الأمن لكل من ينتسبون **لمحمد النفس الزَّكيَّة**، إذ جمع له أولاده وأخواته وأهل بيته وكل من اتبعه ووقف معه، وهذا أمعن في تحقيق غرضه، وتأثيره في المخاطب حتى يستجيب "فإن الحجاج القائم على الوقائع والوصف والحكي ودقة التفاصيل شديد الفعالية في التأثير وإثارة الشعور، وأدعى إلى كسب القضية"(٣)، وقد بدأ التفصيل بهذا التخصيص ، فقال:" **أَنْ أُؤَمِّنَكَ** " حيث بدأ بوعده بالطمأنينة أولاً، وذلك لشدة حاجته إلى ذلك وإبلاغًا في بيان شدة حرصه عليه وهذا فيه من الاستمالة مافيه ، والتعبير بالفعل المضارع " **أُؤَمِّنَكَ**" يدل على أن هذا الأمن لا يقع إلا بعد تحقق الرجوع، كما يدل على تجدد هذا الأمن ودوامه.

وكما عدَّد **أبو جعفر** المقسم به " **العهد– الميثاق– الذمة**" عدَّد –أيضًا– في المُؤَمَن

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ٣٣٧/٣، دار إحياء الكتب العربية، ط: الأولى، ١٣٧٦هـ–١٩٥٧م.

(٢) بلاغة الحجاج في الشعر العربي (شعر ابن الرومي نموذجًا) إبراهيم عبد المنعم إبراهيم، ص١٢٥، مكتبة الآداب– القاهرة، ط: الأولى، ٢٠٠٧م..

(٣) الاستقصاء: هو أن يتناول المتكلم معنى فيستقصيه ، فيأتي بجميع عوارضه، ولوازمه بعد أن يستقصي جميع أوصافة الذاتية ، بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالًا يقوله، ينظر: بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق/ حفني محمد شرف، ص٢٤٧، نهضة مصر.

عليه، فقال :" **أَنْ أُؤَمِّنَكَ، وجميعَ وَلَدِكَ، وَإِخْوَتِكَ، وَأَهْلَ بَيْتِكَ**" وهذا أقوى في الإغراء والاستمالة والاستدراج والترغيب في الرجوع والتوبة من **محمد النفس الزكية** فهو تعداد للإحاطة والشمول لكل من يحب، يؤكد ذلك التعبير بلفظ العموم والشمول "**جميع**" وهو ألصق بالحجاج؛ لأنه أمعن في الإغراء والاستمالة، وكذلك اصطفاء التعبير بـ" **وَلَدِكَ**" دون "**أَبْنَائِك**"، نظرًا لما يضفيه لفظ الولديه من استعطاف وشفقة تزيد من فاعلية الاستدراج والاستمالة.

ثم زاد في إغرائه واستدراجه بالترقي في الممنوح لهم الأمن، فلم يقتصر على منح الأمن له وحده، وإغا ترقى من الأخص " **نفسه**" إلى الخاص " **وجميعَ وَلَدِكَ**" ثم إلى العام "**وَإِخْوَتِكَ**" ثم إلى الأعم " **وَأَهْلَ بَيْتِكَ**" ثم صعَّد الإغراء والاستدراج بالترقي في الممنوح لهم الأمن من القرابة إلى الاتباع ، فقال:" **وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ**" وهذه الإضافة إلى ضمير الخطاب" **وَلَدِكَ – إِخْوَتِك – وَأَهْلَ بَيْتِكَ**" تمنح الإغراء قوة وتأثيرًا على نفسية المخاطب وتهز مشاعره وتستميله لتقبل فكرة المتكلم " فهذا التأثير ذو الطابع العاطفي الوجداني إنما هو السبيل الممهدة إلى الاقتناع الذي هو طابع عقلي"[(١)] فهذه الإضافة فيها إلهاب للمشاعر، وتحريض على الاستجابة، من هنا نلحظ أن **أبا جعفر** قد وسَّع دائرة الأمان للمخاطب ولكل أهله ومن يتبعه رعاية لحاله، وحث على المسارعة والاستسلام والرجوع، وتلويح بالقدرة على الإمساك به، وأنها مسألة وقت، وهذا كله من حجة السلطة[(٢)] التي تظهر من خلال ضغطه على المخاطب بألفاظ " **أَقْدِرَ عليك – أُؤَمِّنَكَ ...**"، ويظهر هنا تأثره بالقرآن الكريم في مفرداته ومعانيه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾ وجواب القسم هنا " **أَنْ أُؤَمِّنَكَ** " يفيد أن الأمن لا يتحقق له إلا بعد تحقق الأمن والرجوع وكأنه لا أمن له ولا طمأنينة إلا بعد التوبة والرجوع.

---

(١) الحجاج في القرآن(من خلال أهم خصائصه الأسلوبية) عبدالله صوله، ص ٦١٥، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ط: الثانية، ٢٠٠٧م.

(٢) وهي حجة تستمد قوتها الإقناعية من النفوذ الذي يمتلكه مصدرها فأعمال أشخاص معينين أو أحكامهم قد تكون حجة واضحة على صحة أطروحة ما، ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة، د/ عبداللطيف عادل، ص ٩٤، منشورات ضفاف، بيروت – لبنان ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط: الأولى، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

الوصول بالتأمين لأقصى درجة إمعانًا في استدراجه واستمالته:

المؤمَن عليه :

وكما فصَّل **أبو جعفر** في المؤَمن؛ فصَّل كذلك في المؤَمَن عليه، فقال:" **عَلَى دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ**" ويظهر إغرائه واستمالته له من خلال المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية "**دِمَائِكُمْ**"، ثم من خلال إسناد الدماء إلى ضمير الجمع "**كم**" ثم من خلال جمع كلمة "**دماء**" ثم في اقتران التأمين على الدماء بالتأمين على الأموال ، وفي هذا الاقتران زيادة في بث الأمن والطمأنينة في نفس المخاطب، وفي بيان حرصه عليهم دمًا ومالًا ، كما أن هذا الاقتران فيه إلهاب للمشاعر، وتحريض على الاستجابة، وقدم حماية الدماء على حماية الأموال؛ لأن حماية الدماء هي التي تعنيهم بالدرجة الأولى .

ثم ترقى في تفصيل التأمين إلى العفو عما اقترفه، من اعتداء على الدماء والأموال ليمنحه مزيدًا من الطمأنينة، فقال:" **وَأُسَوِّغُكَ مَا أَصَبْتَ مِنْ دَمٍ أَوْ مَالٍ**"(١) أي: أدفع عنك عقوبة أي ذنب اقترفته وهو تتميم(٢)، يقصد به عدم ترك فرصة للرفض وعدم الاستجابة ، ثم صعَّد الإغراء بوفرة العطايا التي يمنحها إياه، فقال:" **وَأُعْطِيَكَ أَلْفَ أَلْفَ دِرْهَمٍ**" وذكر "**ألف**" مرتين؛ لأن المال له بريق ولمعان فيكون أقوى في الإغراء، وهو بهذا يحاول أن يحببه في الذهاب إليه، وإقناعه بفكرته؛ حيث جمع له بين العفو عما أصاب، وبين الإعطاء وزيادة الإعطاء.

ثم زاد في إغرائه بأن ترقى من إعطائه المال إلى إعطائه جميع حوائجه، فقال : " **وَمَا سَأَلْتَ مِنَ الحَوَائِجِ**"، ثم انتقل من العطاء المادي إلى العطاء المعنوي بأن أغراه برفع المكانة والمنزلة بأن يجعله يختار من البلاد ما يشاء لينزل بها " **وَأُنْزِلُكَ مِنَ البِلَادِ حَيْثُ شِئْتَ** "وفي التعبير بـ"**أُنْزِلُكَ**" ما يشعر بمزيد من التكريم ..، **فالنُّزُلُ والنُّزْلُ:** ما هُيئَ للضيف إذا نزل عليه. ويقال : إن فُلانًا لحَسَنُ النَّزْلِ والنزلِ أي الضيافة، والنُّزْلُ في الأصل: قِرَى الضَّيْفِ، ومنه

---

(١) **أُسَوِّغُكَ:** يقال : أَسِغْ لي غُصَّتي، أي أمْهلني ولا تعجلني ، ينظر: اللسان، مادة : (سوغ). .

(٢) التتميم : هو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة مثل المفعول أو الحال أو الجار والمجرور، ونحو ذلك مما ليس بحملة مستقلة ، ولا ركنا من أركان الكلام، وذلك لإفادة نكتة بلاغية. ينظر: علم المعاني (دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني) الدكتور/ بسيوني عبدالفتاح فيود، ص ٥٢٢، مؤسسة المختار، ط: الثالثة، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

حديثُ الدعِاء للميت: وأكرم نزله[١]، والإنزال : هو نقل الشيء من أعلى إلى أسفل، وتكون لإيقاع الفعل دفعة واحدة[٢]، وهذا فيه من التعظيم والإغراء ما فيه إن كان في طواعيته، وفي المقابل إن لم يستجب ستُقيَّد حريته وسوف يهان، وعبر بصيغة الجمع" **البِلَادِ** " وجيء بها معرفة؛ ليشعر بأنها بلاد مخصوصة مميزة يشعر فيها بالحرية والأمان، ليكون أدخل في باب الإغراء، وتقييده بقوله:" **حَيْثُ شِئْتَ**" يشعر بعدم تحديد مكان بعينه، بل يختار هو ما يشاء، لكي يتنسم عبق الحرية، ثم ترقى من التخصيص وهو العفو عنه وحده "**وَأُسَوِّغُكَ مَا أَصَبْتَ مِنْ دَمٍ أَوْ مَالٍ** " إلى التعميم وهو أن يمن عليه بإطلاق سراح أهل بيته ممن هو قابع في محبسه، والعفو عن أهل بيته" **وَأَنْ أُطْلِقَ مَنْ فِي حَبسِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ**" ولذلك أضافهم له "**أَهْلِ بَيْتِك**" لأن التكريم لا تنعم به النفس إلا إذا كان بتكريم من ينتمي لها، وهذه فرصة ثمينة بالنسبة له فلابد أن يستثمرها ، وفي التعبير بلفظ "**حَبْسِي**" وإضافته إليه ما يدل على مدى سلطته، وتمكنه منهم إذا لم تتم الاستجابة له .

الترقي في الإغراء بالتفصيل والاستقصاء :

وقد أبان لنا **أبو جعفر** عن علو مكانته وقوة سلطته بما يناله منه **محمد النفس الزَّكيَّة** من عطايا ومنح فلم يقتصر في إغرائه واستمالته على ماسبق ، وإنما صعد درجة أعلى في سلم التأمين بأن يؤمن له كل من جاءه وبايعه واتبعه بقوله" **وَأَنْ أُؤَمِّنَ كُلَّ مَنْ جَاءَكَ وَبَايَعَكَ وَاتَّبَعَكَ**" يؤكد ذلك مجيء "**كل**" التي تدل على العموم، وهي أنجع في مكانها، وذلك من حيث إن التأمين يتناول ويعم كل من جاءه، وهذا إغراء بالمكانة ثم ترقى بالتأمين درجة أخرى حيث تناول كذلك كل من بايعه ، ثم ترقى في التأمين درجة ثالثة "**وَاتَّبَعَكَ**" ثم صعَّد ذلك بقوله:" **أَوْ دَخَلَ مَعَكَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ**" ثم صعَّد الأمن بأداة الربط الحجاجي "**ثُمَّ**" التي تدل على الترقي وتوسيع دائرة الطمأنينة والأمن " **ثُمَّ لَا أَتَّبِعُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِشَيْءٍ كَانَ مِنْهُ أَبَدًا**" فـ "هي من حروف العطف التي تفيد التراخي والمهلة بين قضيتين متباعدتين فضلًا عن إفادتها الترتيب بين الحجج"[٣]، وهذا إغراء بالمكانة وقوة السلطة، فالربط بـ" **ثُمَّ**" هنا يمثل قمة الصفح لبلوغ الترغيب منتهاه، ويؤكد هذه الدرجة مجيء "**أحدًا**" نكرة، و –أيضًا– مجيء "**شيء**" نكرة في

---

(١) ينظر: اللسان، مادة: (نزل).

(٢) الكليات للكفوي ، تحقيق/ عدنان درويش – محمد المصرى، ص ١٩٦، مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٣) الحجاج في نهج البلاغة الرسائل اختيارًا ، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، إعداد الباحث / رائد مجيد الزبيدي ، ص ١١٧، جامعة البصرة ، كلية الآداب،٢٠١٣م.

سياق النفي؛ لتفيد العموم والشمول، والمد في "**أبدًا**" الذي يفيد الإطالة مما يدل على العفو المطلق والصفح الشامل .

من هنا نلحظ أن الاستقصاء زيادة في إقناعه؛ حيث إن هذا التأمين يتناول كل من جاءه وبايعه، واتبعه، وكذلك كل من دخل معه في أمره، وكان تحت سيطرته، وخضع له، فالاستقصاء والتعميم، لتحقيق كمال المبالغة في بث الأمن وزيادة الطمأنينة.

فسلم الترقي هنا يخدم هدف المتكلم وغرضه المقصود، وهو: زيادة الترغيب في الإقبال عليه، والتنازل عن عناده، وذلك من حيث إنها رسائل فيها زيادة تطمين للمخاطب، وبث روح اليقين بالعفو عنه وعن أهله وأقاربه وكل من لهم به صلة.

ولا شك أن الاستقصاء والتفصيل السابق في المؤمَن، والمؤمَن عليه، وتوسيع دائرة الترغيب والعفو من مقتضيات حال المتكلم **(أبي جعفر المنصور)** الذي يتكىء على حجة السلطة، وعلى مكانته السياسية، فهو الخليفة والأمير القادر على كل ماعدده وفصله واستقصاه.

بلاغة الحجاج بأسلوب الشرط(السببية):

من أساليب الحجاج التي وظفها **أبو جعفر** في هذا الخطاب أسلوب الشرط وقيمته الحجاجية، ودوره الفاعل في الإقناع والتأثير ترجع من جهة أن المتكلم يوظفه لتوجيه المخاطب نحو فعل معين، نظرًا لقصر المتكلم نتيجة واحدة وهي جواب الشرط على فعل الشرط، فلا ينفك عنها المخاطب، ولا يخرج من دائرتها، وتلك إحدى وسائل الإقناع والتأثير(١).

وقد صاغ جملة الشرط وجوابها صياغة تساعد على الإقناع بالفكرة التي يرمي إليها؛ حيث عبر بالفعل " **أَرَبْتَ**" أي: دون إجبار أو اكراه، ثم التعبير بالاستوثاق، " **أنْ تَتَوثَّق**"، ومزجه بما يدل على مزيد من العفو والترغيب، فلم يحدد أحدًا يأتي إليه وإنما ترك له حرية الاختيار، فقال له:" **فَوَجِّهْ إِلَيَّ مَنْ أَحْبَبْتَ**" ثم زاد في إغرائه بتكرار "**الأمان – العهد– الميثاق**" في نهاية الرسالة، وفيه رد العجز على الصدر(٢)، وهذا التكرار يشعر بالأهمية البالغة لهذا

---

(١) ينظر: الشرط وأثره الحجاجى في الخطاب(مقاربة تداولية حجاجية) " في مناظرة بين العلم والجهل للشيخ محمد الديسي الجزائري"، محمد فارح– عبداللطيف حني، ص ٣١٣، مجلة (لغة– كلام) جامعة غليزان/ الجزائر، مج(٧)، العدد (١)، ٢٠٢١م.

(٢) رد العجز على الصدر : أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بالمتجانسن فى أول الفقرة والآخر في آخرها – ينظر: فن البديع، دكتور / عبد القادر حسين ، ص ١٢٣، دار الشروق، ط الأولى، ١٤٠٣ هـ –١٩٨٣م.

العهد، ويدفع إلى الإقناع، فالتكرار وسيلة فاعلة في الحجاج والإقناع ويُعدُّ "من أبرز الأساليب الحجاجية التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما"(١) ويتعاون مع التكرار في إغرائه مجيء جواب الشرط جملة طلبية مقترنة برابط حجاجي وهو "**الفاء**" "رابطة لجواب الشرط؛ فتؤدي وظيفة الربط بين الجواب وشرطه"(٢)، وجواب الشرط فعل الأمر "**وَجِّهْ**" فعل إنجازي توجيهي تداولي وهو صيغة حجاجية تتضمن معنى النصح والإرشاد للمخاطب ، وسرعة الاستجابة لما طلب منه، فكل قول له فعل إنجازي وفعل تأثيري، فيكتسب القول بذلك قوة حجاجية؛ لأنه يوجه الخطاب إلى هدف واحد هو الإقناع(٣)، وقد اقترنت هذه الصيغة الحجاجية "**وَجِّهْ**" بما يدل على الوجوب والامتثال:" **فَوَجِّهْ إِلَيَّ مَنْ أَحْبَبْتَ يَأْخُذُ لَكَ مِنَ الأَمَانِ والعَهْدِ والمِيثَاقِ مَا تَثِقُ بِهِ**" فجواب الشرط مترتب على فعل الأمر "**وَجِّهْ**" والإطالة في جواب الشرط فيها إغراء واستدراج وتشجيع للمخاطب وزيارة في بث الإيناس والطمأنينة .

من خلال ما سبق يتضح لنا أن ما ساقه **أبو جعفر** قبل من أساليب الترغيب والاستدراج ثم في هذه الصياغة الشرطية " **فَإِنْ أَرَدْتَ...**" ثم ما تلاه مباشرة من جواب الأمر الداعم على الامتثال" **يَأْخُذُ لَكَ**"، ثم تكرار المأخوذ "**الأمان– العهد– الميثاق**" كل ذلك يدفع إلى إنجاز الأمر.

وقد مثلث " **الواو**" العاطفة العنصر الفاعل في الربط بين الحجج وكان لها حضور مكثف في هذه الرسالة ، فالخطاب الحجاجي لا يكون الغرض الأساسي للمحاجج هو حشد الحجج، وإنما لكي يصل إلى هدفه من الحجاج وهو الإقناع ، لا بد من ترتيب الحجج بروابط مجاجية، لكل رابط موضعه المناسب له؛ حيث " يكمن دور الروابط الحجاجية واستثمار دلالاتها فيترتيب الحجج ونسجها في خطاب واحد متكامل، إذ تفصل مواضع الحجاج؛ بل وتقوي كل حجة منها الحجة الأخرى انطلاقًا من أنه عندما يكون تحت تصرفنا عددًا من المعطيات؛ فإننا نمتلك إمكانات هائلة، لنتمكن من الربط بينها ... ويعد من بين هذه الروابط

---

(١) الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، نعيمه يعمرانن ، ص ٨٠، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري– تيزي وزو، كلية الآداب واللغات، الجزائر،٢٠١٢م.

(٢) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، ص ٣٣٨، مكتبة الخانجي–القاهرة، ١٣٩٧هـ–١٩٧٧م.

(٣) ينظر: الروابط الحجاجية في شعر أبي الطيب المتنبي (مقاربة تداولية)، إعداد الطالبة / خديجة بوخشرة ، ص ٧٤، ٧٥ ، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة وهران ،٢٠١٠م.

الخطابية مهم بقدر أهميته في التصنيفات"[١] ، وكذلك استعمل من الروابط الحجاجية "**أو**" و "**الفاء**".

الإحالة في الرسالة باختيار ضمائر تعود على المخاطب أو على المتكلم :

لاشك أن اختيار التعبير بالضمير له قوته الحجاجية التي تتلاءم مع المقام والغرض المقصود ، فالإحالة تقوم بدور فاعل في تحقيق التماسك النصي، وترابطه وانسجامه فهي "علاقة قائمة بين الأسماء والمسميات فهي تعني العملية التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها، فالعناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكفى بذاتها من حيث التأويل، وصورة الإحالة استخدام الضمير ليعود على اسم سابق أو لا حق له بدلًا من تكرار الاسم نفسه"[٢] لذلك نرى أن **أبا جعفر** قد أكثر من استخدام الضمير متنوعًا فيه ما بين ضمير المخاطب وضمير المتكلم .

استخدام ضمير المخاطب :

استخدم **أبو جعفر** ضمير الخطاب ، مثل: " **كاف**" الخطاب عشرين (٢٠) مرة " **لكَ – أُوَمِنك – وَلَدَك – إِخْوَتك – بَيْتَك ...**"، و" **تاء**" الخطاب خمس (٥) مرات " **تُبْتَ – رَجَعْت – شِئْتَ – أَرَدْتَ ...**" والضمير المستتر " **أنت**" ثلاث (٣) مرات، ووجود هذه الضمائر بهذه الكثافة يحقق الهدف بتخصيص المخاطب وتحديده بالخطاب، وأنه المستهدف في الاستمالة والاستدراج، كما يؤكد فاعلية حضوره في ذهن **أبي جعفر المنصور**، وهذا من كمال احتشاده لرسالته.

استخدام ضمير المتكلم :

استخدم **أبو جعفر** ضمائر تعود على المتكلم ، مثل : "**الياء**"، فقد ذُكرت ثلاث مرات (٣) "**عَليَّ – حَبْسِي – إِلَيَّ**" والضمير المستتر "**أنا**" فقد جاء ثماني (٨) مرات " **أَقْدِر – أُوَمِنَك –**

---

(١) استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص ٤٧٢، ٤٧٣، دار الكتاب الجديد .

(٢) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نعمان بوفرة، ص٨١، جدار الكتاب العالمي، ط:١، ٢٠١٠م، الآليات الحجاجية في الحديث النبوي الشريف(أحاديث مختارة من صحيح البخاري) إعداد الطالبة/ حسينة لبحري، ص ٥٢، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الحقوق، جامعة بودواو، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ٢٠١٤-٢٠١٥م.

أُسَوِّغُك – أُنْزِلك ... "، وهذه الضمائر تفيد التخصيص، وانطباع صورة المُحَاجِج وصفاته في ذهن المحَاجَج، مما يجعله أكثر اقتناعًا وتأثرًا بما يقول، كما أنها تدل على العظمة والقوة والهيمنة، من هنا نلحظ أن هذه الإحالات التي تساعد على تماسك النص وترابطه من شأنها أن تيسر الفهم على المخاطب، ومن ثم إقناعه .

والمتأمل في رسالة **أبي جعفر** يجد أنه قد وظف الوسائل البلاغية توظيفًا حجاجيًّا نجح به في استمالة مخاطبه وتحقيق هدفه من نصه، فظهر براعة الاستهلال، والاقتباس كحجة دينية، وأسلوب القسم، والاعتراض، والتفصيل والاستقصاء، ورد العجز على الصدر، والإحالة، والروابط الحجاجية، وكان لكل ذلك دوره في إثارة نفس المتلقي وإقناعه بفكرته، فهذه الوسائل البلاغية، توفر للقول "جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه ، فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة ، وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه ، أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب ، أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما، أو رأي معين ، ومن ثمة توجيه سلوكه الوجهة التي تريد له ، أي أن الحجاج لا غنى له عن الجمال ، فالجمال يرفد العملية الإقناعية وييسر على المتكلم ما يرومه من نفاذ إلى عالم المتلقي الفكرية والشعورية"[1] .

(١) خطاب الحجاج والتداولية (دراسة في نتاج ابن باديس) عباس حناشي، ص٢٨٢، ط:١، جامعة محمد خيثر، بسكرة– الجزائر، عالم الكتب الحديث، إربد– الأردن.

المبحث الثاني:

بلاغة الخطاب الحجاجي في رد محمد النفس الزّكيّة على أبي جعفر المنصور

نص الرسالة:

" بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله المهدي محمد بن عبدالله إلى عبدالله بن محمد: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ۝٦﴾ (القصص: ١-٦) وَأَنا أَعرضُ عليكَ مِن الأمانِ مثلَ الذي عرضْتَ علىَّ، فَإِنَّ الحقَّ حقُّنا، وإنَّما ادَّعيْتُم هذا الأمرَ بنَا، وخرجْتُم له بشِعتِنَا، وحَظِيْتُم بفضْلِنَا، وَإِنَّ أَبَانَا عليًّا كانَ الوصيَّ وكانَ الإمامَ، فكيْفَ وَرِثْتُم وِلَايتَهُ وولدُهُ أحياءٌ!؟ ثُمَّ قَد عَلِمْتَ أَنَّهُ لمْ يطلُبِ هذَا الأمرَ أحدٌ لهُ مِثْلُ نَسَبِنَا وشَرَفِنَا وحَالِنَا وشَرَفِ آبائِنَا ، لَسْنَا مِن أَبْنَاءِ اللُّعناءِ ولا الطُّرداءِ ولا الطُّلَقَاءِ، ولَيْسَ يَمُتُّ أحدٌ منْ بني هاشِمٍ بِمِثْلِ الَّذِى نّمُتُّ بِهِ مِنْ القُرَابَةِ والسَّابِقَةِ والفَضْلِ، وإنَّا بنُو أُمِّ رسُولِ الله ـ ﷺ ـ فاطمةَ بنتِ عمرو في الجاهليَّةِ وبنُو بنتِهِ فاطمةَ في الإسلامِ دُونَكُم.

إِنَّ الله اخْتَارَنَا واخْتَارَ لنَا، فَوَالِدُنَا من النبيينَ محمد ـ ﷺ ـ، ومِنَ السَّلَفِ أَوَّلُهُم إِسْلَامًا عَلِيٌّ، ومِنَ الأَزْوَاجِ أَفْضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ الطَّاهِرَةُ، وأَوَّلُ مَنْ صَلَّى القِبْلَةَ ، وَمِنَ البَنَاتِ خيرُهُنَّ فاطِمَةُ سيّدَةُ نِساءِ أَهْلِ الجنَّةِ، وَمِنَ المَوْلودِين في الإِسْلامِ حسَنٍ وحُسَينٌ سيّدَا شبابِ أَهْلِ الجنَّةِ ، وَإِنَّ هاشِمًا وَلَدَ عليًّا مَرَّتَيْنِ ، وَإِنَّ عَبْدَ المُطَّلِبِ وَلَدَ حَسَنًا مَرَّتَيْنِ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَلَدَنِي مَرَّتَيْنِ مِنْ قِبَلِ حَسَنٍ وَ حُسَيْنٍ ، وَإِنِّي أَوْسَطُ بَنِي هاشِمٍ نَسَبًا ، وَأَصْرَحُهُمْ أَبًا ، لَمْ تُعَرِّقْ فِيَّ العَجَمُ، وَلَمْ تُنَازَعْ فِيَّ أُمَّهَاتُ الأَوْلَادِ، فَمَا زَالَ اللهُ يَخْتَارُ لِي الآبَاءَ والأُمَّهَاتِ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ حَتَّى اخْتَارَ لي في النَّارِ، فَأَنَا ابْنُ أَرْفَعِ النَّاسِ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ ، وَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا فِي النَّارِ، وَأَنَا ابْنُ خَيْرِ الأَخْيَارِ ، وابْنُ خَيْرِ الأَشْرَارِ ، وَابْنُ خَيْرِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، و ابْنُ خَيْرِ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكَ اللهُ عَلَيَّ إِنْ دَخَلْتَ فِي طَاعَتِي ، وَأَجَبْتَ دَعْوَتِي أَنْ أُؤَمِّنَكَ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ ، وَعَلَى كُلِّ أَمْرٍ أَحْدَثْتَهُ ، إِلَّا حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللهِ أَوْ حَقًّا لِمُسْلِمٍ أَو مُعَاهِدٍ، فَقَد عَلِمْتَ مَا يَلْزَمُكَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَنَا أَوْلَى بِالْأَمْرِ مِنكَ وَأَوْفَى بِالعَهْدِ، لِأَنَّكَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ العَهْدِ وَالْأَمَانِ مَا

أَعْطَيْتُهُ رِجَالًا قَبْلِي، فَأَيُّ الْأَمَانَاتِ تُعْطِينِي! أَمَانُ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، أَمْ أَمَانُ عَمِّكَ عبدِ الله بنِ عَلِيٍّ، أَمْ أَمَانُ أبي مُسْلِمٍ !؟" (١).

أخذ **محمد النفس الزَّكيَّة** في الرد على رسالة **أبي جعفر المنصور** وتفنيد حججه ومن ثَّم إثبات أحقيته بالخلافة، وقد اعتمد على الوسائل البلاغية الحجاجية التي تحقق ما يرمي إليه، وهي على النحو التالي:

براعة الاستهلال في بناء الرسالة:

استهل **محمد النفس الزكية** رسالته بالبسملة على غرار الرسالة السابقة، وجريًا على المعتاد في كتابة الرسائل، وعملًا بقول الرسول ﷺ :" **كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لا يُبْدَأ فيه بِذِكرِ اللهِ أَقْطَعُ**"(٢).

تحديد طرفي الخطاب (المرسِل – المرسَل إليه):

بعد أن افتتح **محمد النفس الزَّكيَّة** رسالته بالبسملة انتقل إلى تحديد المرسِل "**من عبدالله المهدي محمد عبدالله**" و " **عبدالله**" الأولى لإثبات عبوديته وخضوعه وذلته لله . عز وجل .، وهذا جريًا على ما ذكره **أبو جعفر المنصور**.

والتعبير باللقب " **المهدي**" له عطاءات كثيرة بالنسبة له، فهو يضفي على نفسه القداسة، فهو رمز لكل من يحقق العدالة على الأرض ، كما أنه يعلن به عن مذهبه – أيضًا –وأحقيته للخلافة ، فهو لقب كبير الأهمية لما له من علاقة بالثورة، وما يعكس على العامة من السمعة الطيبة والأهداف التي تطمح الثورة إلى تحقيقها (٣).

المرسَل إليه:

ويلاحظ أن **محمد النفس الزَّكيَّة** لم يمنح **أبا جعفر المنصور** لقبًا يحقق من خلاله سلطة عليه، وإنما ذكره مجردًا، دلالة على أنه لا ولاية له ، وأنه أخذها بدون وجه حق، فهو يعتبر **أبا جعفر** مغتصبًا لحق العلويين فلا يعترف بخلافته ؛ لأن الخلافة من حق **علي بن أبي طالب** الذي كان الوصي وكان الإمام ، ولا شك فإن بنيه أولى بخلافته من بني العباس(٤) . وهذا

---

(١) تاريخ الطبري، ٥٦٧/٧، ٥٦٨.

(٢) سنن الدارقطني، حققه/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، ٤٢٨/١، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، حديث رقم : (٨٨٤).

(٣) ينظر: العلاقات بين العلويين والعباسيين في العصر العباسي الأول (دراسات في التاريخ الإسلامي) الدكتور/ محمد البطاينة ، ص ١٨٥، جامعة اليرموك ..

(٤) ينظر: السابق نفسه.

إعلان من أول الأمر أنه لا أحقية له فيما ادعاه من إمارته للمؤمنين، ومن ثَّم فإنه أبطل حجته بالإمارة، في حين أنه منح نفسه الأحقية بالخلافة من خلال اللقب " الترهيب ويجرِّده من وسائل الترغيب، وليفقده توازنه الخطابّي القائم على الإيهام والتضليل"(١).

ويستعين **محمد النفس الزَّكيَّة** في رده على **أبي جعفر المنصور** بالحجة الدينية – أيضًا – حيث استشهد بالآيات من سورة القصص ، وهذا يُشكل نوعًا من التوازن بين الخطابين، ومقابلة الحجة بالحجة المشابهة لها.

واستخدام الآيات القرآنية يحمل بعدًا حجاجيا يزيد من درجة التأثير والإقناع ، ويجعل المخاطب يقبل على الفكرة المطروحة دون تردد " فليس الحجاج في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها ، والإصغاء إليها ، ثم محاولة حيازة انسجامها الإيجابي والتحامها مع الطرح المقدم، فإن لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان فإن الحجاج بلا غاية وبلا تأثير " (٢).

وتوظيف **محمد النفس الزَّكيَّة** لهذه الآيات في هذا السياق دليل على أنهم أحق بالخلافة، وأن **أبا جعفر المنصور** أخذها منهم غصبًا وقهرًا ونهج منهج فرعون في الاستيلاء عليها ، فنراه " يستعير مبادئ حجاجه من النص القرآني ليعزز حقه وليبرهن على الظلم الواقع عليه علاوة على إظهار نتائج الظلم والصبر، فأما ظلم فرعون فقاده إلى الهلاك، وأما صبر موسى فأدى به إلى الإمامة ووراثة الأرض والتمكن فيها" (٣).

وهو بهذا الاستشهاد يصوِّر لنا تمرده على **أبي جعفر المنصور** واستخفافه به، وأن العلويين هم أحق بالخلافة من العباسيين .

---

(١) بلاغة الخطاب السّجالي (مقاربة تداولية في مراسلات **أبي جعفر المنصور والنفس الزَّكيَّة**) هيثم سرحان، ص٧٠، مجلة الأبحاث– كلية دار العلوم، الجامعة الأميركية، بيروت – لبنان، ٢٠١٢–٢٠١٣م.

(٢) مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ، محمد سالم الأمين ، ص ٦٨، مجلة (عالم الفكر) ، المجلد الثامن والعشرون، الكويت، العدد: الثالث، يناير/ مارس ٢٠٠٠م.

(٣) بلاغة الخطاب السّجالي، ص٧٢.

مقابلة الأمان بالأمان (ومجيء ذلك في قالب التأكيد – التشبيه):

بلاغة الحجاج بالتأكيد: :

التأكيد وسيلة من وسائل الإقناع؛ حيث يلجأ إليه المحاجج لتأكيد الحجج وتثبيتها في ذهن السامع لإقناعه بها ، فالتأكيد " إنما يؤتى به للحاجة للتحرر عن نكر ما لا فائدة له ، فإن كان المخاطب ساذجًا ألقي الكلام خاليًا عن التأكيد، وإن كان مترددًا فيه حسُن تقويته بمؤكد، وإن كان منكرًا وجب تأكيده ، ويراعى في القوة والضعف بحسب حال المنكر " (١).

وهنا نرى **محمد النفس الزَّكيَّة** يتمادى في تمرده على **أبي جعفر** واستخفافه به بأن يعرض عليه الأمان مستندًا في ذلك على أحقية العلويين بالخلافة، فيقول:" **وَأَنا أَعرضُ عليكَ مِن الأمانِ مثلَ الذي عرضْتَ علىَّ**" وقد صاغ هذه الحجة صياغة مؤكدة، وقد جاءت التقوية والتأكيد من خلال تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي الذي أسند فيه الفعل إلى ضمير المتكلم الظاهر مرة، ومرة إلى الضمير المستتر " **أَعْرِضُ**" ولو قال :" **أَعْرِضُ علَيْكَ**" ما أفاد هذه التقوية، يقول **عبدالقاهر** : "فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تحدِّث عنه بفعل فقدَّمت ذكره، ثم بنيت الفعل عليه فقلت: "زيد قد فعل" و "أنا فعلت"، و "أنت فعلت"،: اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل، إلا أن المعنى في هذا القصد ينقسم قسمين: ... والقسم الثاني: أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل، وتمنعه من الشك، فأنت لذلك تبدأ بذكره، وتوقعه أولًا ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه، لكي تباعده بذلك من الشُّبهة، وتمنعه من الإنكار، أو من أن يُظَّن بك الغلط أو التزيُّد. ومثاله قولك: "**هو يعطي الجزيل**"، و "**هو يحبُّ الثناء**"، لا تريد أن تزعُم أنه ليس هنا من يعطي الجزيل ويحب الثناء غيرُه، ولا أن تعّرض بإنسان وتحطَّه عنه، وتجعله لا يعطي كما يعطي، ولا يرغب كما يرغب، ولكنك تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل وحب الثناء دأبُه، وأن تمكّن ذلك في نفسه" (٢)، وسبب هذه الوكادة أن المتكلم في سياق الرد والإنكار، وقلب معتقد المخاطب فناسب هذا التأكيد.

بلاغة الحجاج بالتشبيه :

التشبيه أسلوب بلاغي، ووسيلة حجاجية تنقل المعنى في قالب واضح يقنع المتلقي ويؤثر

---

(١) البرهان في علوم القرآن ، ٣٩٠/٢.

(٢) كتاب دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه أبو فهر/ محمود محمد شاكر، ص ١٢٨، ١٢٩، مطبعة المدني . مصر، دار المدني – جدة، ط: الثالثة، ١٤١٣هـ-١٩٩٩م.

فيه ، فالتشبيه " لا يقف دوره عند التوضيح وإنما يتجاوز ذلك ليكون أداة حجاجية فاعلة ، وذلك من تقريب المعنى البعيد إلى النفس بما يجعلها أقرب إلى ذهنه قناعة بها" (١).

و تكمن الطاقة الحجاجية للتشبيه المجمل " في تجرده من التفصيل بسبب خلوه من وجه الشبه، مما يسمو بأسلوب الكلام إلى مستوى يقتضى من المتقبَّل إلمامًا خاصًّابإطار الحديث، أو ثقافة معينة واسعة تمكنه من الوقوف على الهدف المقصود" (٢).

فإذا كان **أبو جعفر المنصور** قد عرض على **محمد النفس الزَّكيَّة** قضية منح الأمان إذا هو تاب وعدل عن فكرته في أحقية الخلافة " **إن ثُبْتَ ورجَعْتَ ... أَنْ أُؤَمِّنَكَ ...**" ، فإن **محمدًا النفس الزكية** يعرض عليه من الأمان الذي يتساوى مع عرضه " **وَأَنا أَعْرِضُ عليكَ مِن الأمانِ مثلَ الذي عرضْتَ عليَّ**".

ولذلك استعمل من أدوات التشبيه "مثل"؛ لأنها تفيد شدة المماثلة، فهو لديه من الأمان – أيضًا – ما يمنحه **لأبي جعفر**، ومن ثمَّ فهو بهذا ينسف حجة **أبي جعفر**.

بلاغة الحجاج بأسلوب الإجمال والتفصيل:

وجملة " **فَإِنَّ الحقَّ حقُّنا**" التي أعقبت التشبيه هي المعنى المحوري الذي تنبثق منه الجمل الآتية، فكلها تغذيها، وتدور في فلك دلالاتها، وتستتكر ماادعاه **أبو جعفر** من كونه أميرًا للمؤمنين، وتأتي الفاء السببية كرابط حجاجي في قوله:" **فَإِنَّ الحقَّ حقُّنا**" لتعميق حجة **محمد النفس الزَّكيَّة** في أحقيته بالخلافة، ودخولها على" **إنَّ**" المؤكدة مع تكرار كلمة " **الحَقَّ**" مما يدعم هذه الحجة ويؤكد فاعليتها.

و" **الواو**" العاطفة التي تكررت بعد ذلك تلعب دورًا مهمًا كرابط حجاجي في تصعيد الحجج، وتفصيلها بعد إجمالها بما يدفع المتلقي نحو الاستجابة والتسليم.

بلاغة الحجاج بالقصر :

ومن الوسائل الحجاجية التي استخدمها **محمد النفس الزَّكيَّة** لتغيير قناعة **أبي جعفر** وتوجيهه نحو قناعة أخرى يريد المتكلم تحقيقها وتأكيدها القصر أسلوب بـ "**إنما**" والذي يتناسب

---

(١) بلاغة الحجاج في شعر أبي العلاء، د/ عماد سعد شعير، ص٤٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٠م .

(٢) الحجاج في القرآن، ص٥٦٧، ٥٦٨.

التركيد به مع التوكيد في الجملة السابقة في قوله : "فإن الحق حقنا" في مواجهة إنكار المخاطب، وهدم معتقده، وزحزحته عن فكره، وتوجيهه نحو الفكرةالمضادة لفكرته وإقناعه بها، يقول عبد القاهر : "اعلم أن موضوع "إنما" تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو لما ينزل هذه المنزلة" (١)، فضلاً عن كونه يحول الجملة من مجرد كونها جملة إبلاغية إلى كونها حملة حجاجية تقنع وتؤثر فالحجاج البلاغي "هو كسب تأييد المتلقي شأن قضية أو فعل مرغوب فيه من جهة ، ثم إقناع ذلك المتلقي عن طريق إشباع مشاعره وفكره معاً حتى يتقبل ويوافق على القضية أو الفعل موضوع الخطابة – الخطاب" (٢).

وقد اختار **محمد النفس الزَّكيَّة** في خطابه من المفردات ما يتناسب مع فكرته وهو أن ادعاء **أبو جعفر المنصور** أن العباسيين أحق بالخلافة مجرد زعم وكذب فعبر بلفظ " **ادَّعيْتُم**" فهو من ادعيتُ الشيءُ: زعمتُهُ لي ، حقًا كان أو باطلًا، وهو من قولك تدَّعِي الباطل، وتدعي ما لايكون (٣)، ثم تأتي الباء الجارة التي تفيد السببية في قوله: " **بِنَا**" والتي تكشف عن عظم مكانة **محمد النفس الزَّكيَّة** وأنهم هم الذين ناصروا العباسيين ولولاهم ما كان لهم أي شأن ، فهم أدنى منزلة وأقل رتبة ، والعلويون هم الذين لهم الفضل والمكانة فهم الأساس وهم تبع لهم، يقول **ابن جني:**" فأما الإلصاق فنحو قولك: أمسكت زيدًا، يمكن أن تكون باشرته نفسه، وقد يمكن أن تكون منعته من التصرف من غير مباشرة له، فإذا قلت : أمسكت بزيد، فقد أعلمت أنك باشرته وألصقت محل قدرك، أو ما اتصل بمحل قدرك به، أو بما اتصل به، فقد صح إذن معنى الإلصاق"(٤).

بلاغة الحجة التاريخية وتواليها في الإقناع:

يتابع **محمد النفس الزَّكيَّة** في تأكيد هذا الحق بالحجج التاريخية في قوله:" **وخرجْتُم لـه بشِعتِنَا، وحَظِيْتُم بفضْلِنَا**" لأنهم وقفوا بجانبهم عند الحكم، والأصل الذين عُوِّلوا عليه وارتبطوا

---

(١) دلائل الإعجاز ، ص ٣٣٠ .

(٢) بلاغة الخطاب الحجاجي في النثر الفني (الخطاب في العصر الأموي نموذجًا) د/عبد الرحمن رجا الله السلمي، مجلة الأثر، العدد ٢٩، ص٤٩.

(٣) ينظر: اللسان، مادة : (دعا).

(٤) سر صناعة الإعراب، ١/١٣٤، دار الكتب العلمية، يروت – لبنان ، ط: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

به، عاشوا في كنفهم، وفي كريم فضلهم، والمناصرة والمؤازرة بما يدل على ضعفهم، ولأنهم الركن الشديد الذي يركنون إليه، وهذه حجج واقعية " تقوم على العلاقات الموجودة بين عناصر الواقع، والتى تكون محل قبول واتفاق من قبل المستمع، فيتخذها الخطيب منطلقًا لبلورة حجاجه في اتجاه ما يريد أن يقنع به مستمعه" (١)، وكلما كان المحاجج واقعيًا فى حججه فـ " إن الخطاب الحجاجي يكون أنجح وأقدر على الفعل في المتلقي والتأثير فيه" (٢).

ثم يترقى **محمد النفس الزَّكيَّة** في بيان أحقيتهم بالإمارة من العباسيين بحجة تاريخية أخرى " **وَإِنَّ أَبَانَا عليًّا كانَ الوصيَّ وكانَ الإمامَ**" ، و بذلك يشير إلى حادثة **(الغدير)** التي تعني مبايعة النبي ﷺ "**عليًّا**" رضي الله عنه وعلي صاحب الوصاية والولاية، فعن أبي إسحاق الهمداني ، قال سمعت حشى بن جنادة ، تقول : سمعت رسول الله ﷺ– يقول يوم **غدير خُمَّ :"اللهم من من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، وأعن من عانه**" (٣)، فقد استدلوا بذلك على أنَّ "**عليًّا**" الخليفة الأجدر والحاكم الأحق، وأن الغدير تكليف وتبليغ رسالة، والغدير وثيقة ودستور، ودليل وقائعى، وأن عليا قد ظلم، والظالمون يجب أن يتصدى لهم، والحق يبحث عن مرافعيه وقد صيغت هذه الحجة في قالب التأكيد الذي يدفع الخصم تبني وجهة نظر المحاجج حيث التأكيد بـ "**إنَّ**" ثم بعطف البيان الذي يكشف عن عمق رابطة بينه وبين "**علي**" – كرم الله وجهه– " **وَإِنَّ أَبَانَا عليًّا كانَ**" ثم التأكيد بـ" **كان**" التي تدل على التحقق والثبات، ثم تكرارها "**وكان**" ثم عطف الإخبار على "**علي**" بخبرين يكشف عن أحقيتهم بالخلافة **(الوصي) (الإمام)** وهذا التعريف في الوضعين يوحي بالاختصاص، وهذا ما يدفع إلى قوة الحجة حتى تبلغ أقصى درجة في الإقناع.

والمتأمل في هذه الجملة يجد أنها بمثابة تمهيد لهذا الاستفهام" **فكَيْفَ وَرِثْتُم وِلَايتَهُ وولدُهُ أحياءٌ !؟**" الذى يدل على الإنكار والاستبعاد والتكذيب من هذه الحالة الغريبة، وهذا الادعاء

---

(١) نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، د/ الحسين بنوهاشم، ص٧١، دار الكتاب الجديدة المتحدة – بيروت، ط : الأولى،٢٠١٤م.

(٢) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د/ سامية الدريدي، ص ٢١٤، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن ، ط: الأولى، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م.

(٣) المعجم الكبير للطبراني، تحقيق / حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ١٦/٤، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط: الثانية (د– ت) .

الكاذب، فالاستفهام الحجاجي بـ" **كيف**" " يكتسب قيمته من أنه يقع في منطقة تجمع بنى التعجب والنفي والإنكار والتوبيخ، وهو ما يسهم في الحجاج بالسخرية لما تحمله " **كيف**" من التهكم والقدرة على تسفيه الخصم وبيان غبائه وعدم استطاعته الفهم لطبائع الأمور الواضحة مما يقود إلى ازدراء الناس له واستنكارهم لفكره وعمله لأنه يخالف المنطق الطبيعي والأخلاق السوية ومتطلبات التعايش الإنساني السليم"[(١)]، ثم إن جملة " **وولدُهُ أحياءٌ!؟**" جملة حالية تفجر الإحساس بالغرابة والتعجب وإثارة الدهشة من هذا الادعاء، ثم ترقى بحرف العطف "**ثم**" في قوله:" **ثُمَّ قَد عَلِمْتَ أَنَّهُ لمْ يطلُبِ هذَا الأمرَ أحدٌ لهُ مِثْلُ نَسَبِنَا وشَرَفِنَا وحَالِنَا وشَرَفِ آبائِنَا**" وهو في سلم التفصيل لهذا الإجمال " **فَإِنَّ الحَقَّ حَقُّنَا**" ثم يؤكد ذلك بـ "**قد**" والتعبير بالفعل الماضي "**عَلِمْتَ**" و "**أنَّ**" الذي يفيد تأكيد علمه.

ثم الاعتزاز بنسبهم وشرفهم وحالهم بـ " **أَنَّهُ لمْ يطلُبِ هذَا الأمرَ أحدٌ لهُ مِثْلُ نَسَبِنَا وشَرَفِنَا وحَالِنَا وشَرَفِ آبائِنَا**" ، ثم التأكيد بالنفي بـ" **ليس**" في قوله:" **لَسْنَا مِن أبْنَاءِ اللُّعناءِ ولا الطُّرداءِ ولا الطُّلَقَاءِ**" التي وضعت بأصلها للنفي، ولا تفيد معنى غيره، وإن كان النفي بها أبلغ في هذا السياق، كما أنها تفيد استمرار النفي[(٢)]، ثم ينتقص من قدر **أبي جعفر** ونسبهم بالتعريض في قوله:" **لَسْنَا مِن أبْنَاءِ اللُّعناءِ ولا الطُّرداءِ ولا الطُّلَقَاءِ**" والمراد بهم: الذين حاربوا الله ورسوله ولم يدخلوا الإسلام إلا بعد فتح مكة[(٣)]، والاستقصاء في الانتقاص وذكر المثالب والمعائب ما هو إلا تعظيم من شأن العلويين وتحقير من شأن العباسيين .

ويواصل **محمد النفس الزَّكيَّة** اعتزازه وفخره بنسبته إلى بني هاشم في القرابة والسابقة والفضل "**ولَيْسَ يَمُتُّ أحدٌ منْ بني هاشِمٍ بِمِثْلِ الَّذِى نَمُتُّ بِهِ مِنْ القُرَابَةِ والسَّابِقَةِ والفَضْلِ**" .

ويعتز بنسبته في الجاهلية إلى أم رسول الله ﷺ "فاطمة بنت عمرو"[(٤)]، وبنسبته إلى

---

(١) بلاغة الحجاج في الشعر القديم، ص١٠٠، تحلل خطاب الحجاج الاجتماعي في مؤلفات قاسم أمين، هدى عبدالغني باز، تقديم/ إيمان السعيد جلال ، ص٢٥١، ٢٥٢، القاهرة-مكتبة الآداب، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

(٢) ينظر: معاني النحو، د/ فاضل السامرائي، ١٩٠/٤، دار الفكر، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٣) ينظر: الرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد ذي النفس الزكية، الدكتور/ فاروق عمر، ص٣١.

(٤) فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضْر، أم عبدالله، وأبي طالب، والزبير، وجميع النساء غير صفية، ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق/ مصطفى السقا وآخرون، ١٠٩/١، مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي . مصر، ط: الثانية، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

أبناء بنت رسول الله ﷺ فاطمة بنت محمد ﷺ فهم أعلى منهم نسبًا ومكانة وفضلًا، وهي حجج تاريخية زيادة في التوثيق، وتعميق للاحتجاج.

ثم يواصل اختيار الله. تعالى. لهم واصطفائه إياهم، ويبدأ هذه الفكرة بجملة محوري " **إِنَّ الله اخْتَارَنَا واخْتَارَ لنَا**" وهي جملة مؤكدة بـ"**إِنَّ**" والقصر حيث قصر اختيار الله عليهم دون غيرهم، ثم يعقِّب هذا الإجمال بالتفصيل على سنن الجملة السابقة في التأكيد.

حجية الإجمال والتفصيل:

التفصيل بعد الإجمال، والإيضاح بعد الإبهام له دوره الحجاجي، وذلك بتقديم المعني في صورتين مختلفتين، وهذا يحقق تأكيد المعنى وتقديره في نفس المخاطب ويدفعه إلى الإقناع "وغاية هذا النوع من الحجج هو إبراز حضور الأشياء وثباتها بتأكيد حضور أجزائها، فتقسم الشيء إلى أجزائه المكونة له لتزيد من قوة ذلك الكل وتزيد من درجة إقناعه في الخطاب"(١).

وكما بنى الإجمال بقوله:" **فَإِنَّ الحقَّ حقُّنا**" ثم فصله بعد ذلك بحجج جزئية تغذي هذا المعنى، فإنه هنا أجمل بالمعنى الأم في قوله:" **إِنَّ الله اخْتَارَنَا واخْتَارَ لنَا**" ثم انطلق إلى التفصيل الذي يغذي هذا المعنى المحوري فنرى **محمد النفس الزَّكيَّة** يسوق الحجج التي تشهد لاختيار الله. تعالى. لهم، فقال:" **فَوَالِدُنَا من النبيينَ محمد . ﷺ .، ومِنَ السَّلَفِ أَوَّلُهُم إِسْلَامًا عَلِيٌّ، ومِنَ الأَزْوَاجِ أَفْضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ الطَّاهِرَةُ، وأَوَّلُ مَنْ صَلَّى القِبْلَةَ، وَمِنَ البَنَاتِ خيرُهُنَّ فاطِمَةُ سيِّدَةُ نِساءِ أَهْلِ الجنَّةِ، وَمِنَ المَوْلودين في الإِسْلامِ حسَنٍ وحُسَينٌ سيِّدَا شبابِ أَهْلِ الجنَّةِ ، وَإِنَّ هاشِمًا وَلَدَ عليًّا مَرَّتَيْنِ ، وَإِنَّ عَبْدَ المُطَّلِبِ وَلَدَ حَسَنًا مَرَّتَيْنِ ، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَلَدَنِي مَرَّتَيْنِ مِنْ قِبَلِ حَسَنٍ وَ حُسَيْنٍ**".

ثم يرقى في بيان أفضليتهم بالفخر بنسبه " **وَإِنِّي أَوْسَطُ بَنِي هاشِمٍ نَسَبًا، وَأَصْرَحُهُمْ أَبًا**" والتعريض **بأبي جعفر المنصور**؛ حيث كانت أمه أم ولد يقال لها سلامة وكانت بربرية(٢)، فيقول: " **لَمْ تُعَرِّقْ فِيَّ العَجَمُ، وَلَمْ تُنَازَعْ فِيَّ أُمَّهَاتُ الأَوْلَادِ**" ويستمر اختيار الله. تعالى. لهم في الجاهلية والإسلام حتى اختار له في النار، فحتى لو كانت المكانة في النار فهو مميز

---

(١) البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، إعداد الطالبة/ شيخ آمال، ص١٤٢، الجزائر كلية المسيلة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠١١م.

(٢) ينظر: النجوم الزاهرة، ٣٢/٢.

لأنه أهون أهل النار يؤكد ذلك المقابلة في قوله:" **فَأَنَا ابْنُ أَرْفَعِ النَّاسِ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ ، وَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا فِي النَّارِ**" وأيضًا الطباق في قوله:" **وَأَنَا ابْنُ خَيْرِ الأَخْيَارِ ، وابْنُ خَيْرِ الأَشْرَارِ**" فالطباق له قيمة بلاغية حجاجية؛ لأنه "يجذب انتباه المتلقي إلى ما في التعبير من إثارة فكرية وشعورية تحقق نوعًا من المتعة الفنية لدى المستمع بالإضافة إلى أن الشيء ونقيضه حين يجتمعان يبرز كل منهما ما في الآخر من دلالات"(١).

والمراد بـ" **أَهْوَنُهُمْ عَذَابًا فِي النَّارِ** " أبو طالب، **لقول الرسول ﷺ:" أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه"** (٢).

حجاجية اسم التفصيل:

ثم يأتي التفصيل في قالب التفضيل:" المبني على أفعل لزيادة صاحبه على غيره في الفعل أي: في الفعل المشتق هو منه" (٣) فـ "إذا قلت: (زيد أعلمُ من عمرو) فقد قضيت له بالسبق والسمُوِّ عليه" (٤) وهو من العوامل الحجاجية التي تمنح الخطاب قوة وتأثيرًا وذلك لما يقوم به اسم التفضيل وتعاقبه بإيقاع موسيقي يستميل المتلقي ويجذبه فيمنح الخطاب قوة الإقناع.

كما أن جوهر التفضيل الذي يعقد موازنة بين طرفين وتفوق المفضل على المفضل عليه مما يزيد من قوة الحجاج، وتغيير القناعات، ولو أن الكلام صيغ في قالب اشتقاقي غير صيغة التفضيل لافتقدت المقارنة التي تمنح الخطاب قوة وتأثيرًا؛ ولأن **محمد النفس الزَّكيَّة** أراد أن يثبت أفضلية العلويين على العباسيين في النسب والفضل لجأ إلى أفعل التفضيل، فكان التفضيل هو الأسلوب الأنجع في هذا السياق.

---

(١) عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، د/ فوزي خضر، ص ١٨٥، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م.

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ(الكاشف عن حقائق السنن) للطيبي، تحقيق د/ عبدالحميد هنداوي، ٣٥٨٦/١١، مكتبة نزار مصطفي الباز (مكة المكرمة . الرياض)، ط: الأولي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٣) شرج الرضي على كافية ابن الحاجب، شرح وتحقيق الأستاذ الدكتور/ عبدالعال سيد مكرم، ٤٢٨/٤، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٤) شرح المفصل لابن يعيش، قَدَّم له دكتور/ إميل بديع يعقوب، ١٢٠/٤، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٩م.

فقال: " **أَوَّلُهُم إِسْلَامًا- أَفْضَلُهُنَّ- أَوَّلُ- خيرُهُنَّ- أَوْسَطُ -وَأَصْرَحُهُمْ- أَزْفَعِ -وَأَهْوَنُهُمْ- خَيْرِ الأَخيَّارِ- خَيْرِ الأَشْرَارِ- خَيْرِ أَهْلِ الجَنَّةِ- وخَيْرِ أَهْلِ النَّارِ**" وقد تآزر مع التفضيل في تقوية هذه الحجج التأكيد بـ "**إنَّ**" وذلك لإقناع المتلقي بها " فينبغي أن يهتم المحاجج بأحوال المتلقي من ناحية تلقيه الخبر، وتردده فيه أو إنكاره له، ودرجات الإنكار؛ لأن لكل مبدع أسلوبه الحجاجي الخاص به" (١)، والملاحظ في هذه الرسالة أن **محمدًا النفس الزكية** قد أكثر من استخدام التأكيد بـ "**إنَّ**" " لتثبيت الحجج المقدمة، فإذا كان المتحدث تتوفر فيه شروط الاستعلاء والسلطة، فإن توكيده له تأثير مباشر على المتلقي أو المخاطب، إذ يخضعه إلى قبول حججه دون نقاش، وهو تثبيت حجة وتقوية العلاقة الحجاجية بين مختلف عناصر الحجاج، أما إذا كان المُخاطِب المُخاطَب بالمرتبة نفسها أو أقل منه مرتبة فيحتاج لدعم حجته بمجموعة من المؤكدات"(٢).

لذلك يتعذر رد هذه الحجج، ويغلق أمامه باب الطعن، ومن ثم فلا عليه إلا التسليم والاستجابة.

بلاغة الحجاج بالقسم:

وبعد الإجمال والتفصيل الذي تحدث فيه عن التعظيم لنفسه والتحقير من خصمه، انتقل إلى ترغيبه في الطاعة والانضواء تحت لوائه، واعتمد في ذلك على عدد من الأساليب الحجاجية، منها: القسم، الاستقصاء، التعليل،...، فالقسم وسيلة من وسائل الإقناع " التي يقتضيها المقام، ويأتي . عادة . لإثبات أمر من الأمور التي يستبعد المخاطب وقوعها، وتقرير حقيقة من الحقائق وتوكيدها، إزالة الشبهة عنها عند المقسم له حتى يقبلها ويطمئن إليها" (٣)، وقد استخدم **محمد النفس الزَّكيَّة** القسم هنا بصريح لفظ " **الله**" زيادة في تأكيد وعده له بمنحه الأمن إن دخل في طاعته وأجاب دعوته، فيطمئن إليه ويُقبل عليه.

وقدم الجار والمجرور "**لكَ**" زيادة في إغراء **أبي جعفر** بقصر العهد عليه، وهذا من متطلبات الحجاج؛ لأنه يبعث في نفسه الطمأنينة والأمان، بالإضافة إلى تشويقه لما سيلقيه عليه، فيتمكن في نفسه

---

(١) الحجاج في نثر ما قبل الإسلام(دراسة في وسائل الإقناع) الطالبة/ أسماء محمد معلة، ص٣١، رسالة دكتوراه، جامعة القادسية، كلية الآداب، ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م. .

(٢) الروابط الحجاجية في شعر أبي الطيب المتنبي، ص ٣٠، ٣٢.

(٣) آليات الإقناع في الخطابة السياسية في العصر العباسي الأول، ص ٧٣.

وقد اعترض بين القسم " **وَلَكَ اللَّهُ...**" وجوابه " **أَنْ أُؤَمِّنَكَ...**" بالجملة الشرطية " **إِنْ دَخَلْتَ فِي طَاعَتِي ، وَأَجَبْتَ دَعْوَتِي**" ، فلم يقل:" **وَلَكَ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أُؤَمِّنَكَ ... إِنْ دَخَلْتَ فِي طَاعَتِي ، وَأَجَبْتَ دَعْوَتِي**" وهذا الاعتراض يبرز لنا مدى حرص **محمد النفس الزَّكيَّة** على دخول **أبي جعفر** في طاعته وإجابة دعوته قبل أن يؤمنه، وهذه الجملة . أيضًا . تجعل أمر إجابة **أبو جعفر** لدعوة **محمد النفس الزَّكيَّة** من الأهمية بمكان، وفي التعبير بالفعل الماضي "**دَخَلْتَ- أَجَبْتَ**" المصاحب لـ "**إنْ**" الشرطية ما يدل على زمن الاستقبال، وهذا يجعل الدخول في الطاعة وإجابة الدعوة أمر محقق، كما أنه يدل من وجه آخر على الإسراع للدخول في طاعته وإجابة دعوته، ولهذا يعطي هذا الفعل بدلالته قيمة حجاجية في هذا السياق " إذ تتبع مزية الفعل الماضي في الكشف عن الدلالة في السياق الوارد فيه في ارتباطه الذاتي بقيمة تأكيدية بارزة مردها الإشعار بتحقق هذه الصفات فعليًّا بما لا يجعلها عرضة للظن والارتياب، ويضعها في أذهان المتلقين موضعًا لا يعوزها إلى البرهان والدليل" (١).

بلاغة الحجاج بالاستقصاء في تعداد المؤمَن عليه:

التفصيل والاستقصاء من الأساليب البلاغية التي لها قيمة حجاجية فهي شديدة التأثير في المتلقي وإثارة شعوره مما يكون أدعى إلى إقناعه، وقد سلك **محمد النفس الزَّكيَّة** مسلك التفصيل والاستقصاء في إغراء **أبي جعفر** واستدراجه وذلك باستقصاء من يمنح لهم الأمن والطمأنينة، حيث بدأ بوعده بالأمن والطمأنينة على نفسه وماله أولًا "**أَنْ أُؤَمِّنَكَ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ**" والتعبير بالفعل المضارع دلالة على تجدد هذا الأمن وداومه إن هو دخل في طاعته وأجاب دعوته، ثم ترقي في إغرائه واستدارجه بالترقي في المؤمَن عليه، فترقى من تأمينه على نفسه وماله إلى تأمينه على كل أمر أحدثه، فقال:" **وَعَلَى كُلِّ أَمْرٍ أَحْدَثْتَهُ**" والتعبير بالحدوث هنا دليل على أن خلافته كانت أمرًا حداثيًّا لم يكن له أصل فيه.

ثم استثنى من التأمين العام وقيَّده بقوله:" **إِلَّا حَدًّا مِنْ حُدُودِ اللهِ أَوْ حَقًّا لِمُسْلِمٍ أَو مُعَاهِدٍ**" فحدود الله وحق العباد لا تهاون فيها، وإذا قابلنا بين التأمين عند **أبي جعفر ومحمد النفس الزَّكيَّة**، نجد أن **أبا جعفر** أراد أن يؤمِّن **محمد النفس الزَّكيَّة** بكل الوسائل فأطلق التأمين ولم يقيده حيث شمل **محمد** وما يتصل به من أقارب، فلم يراعِ حدود الله ولا حدود البشر ، وهذا فيه مراعاة لمقتضي حال المخاطب **(شدة خوف محمد النفس الزَّكيَّة من أبي جعفر)** وحال المتكلم **(قوة**

---

(١) في صحبة النص (مختارات ودراسات)، د/ طارق شلبي، ص ٨٤، دار البرق، (د-ت).

السلطة عند أبي جعفر).

أمَّا **محمد النفس الزَّكيَّة** فنجد أنه قد قيَّد التأمين بحدود الله وحدود البشر، وهذا دليل على أنه يلتزم بحدود الله وأنها لا تهاون فيها وأنه لا ينسى حدود حتى مع طلبه للخلافة، وهذا فيه لفت نظر **لأبي جعفر** لأنه تجاوز الحدود في ظل رجوع **محمد النفس الزَّكيَّة** إليه وانقياده له . للدلالة على أن هناك حقوقًا لا تسقط، لذلك يرى محمد النفس الزَّكيَّة أنه أحق بالخلافة من **أبي جعفر**، وهذه الحجة من حجج الاستحقاق، من هنا نلحظ أن المقابلة لها أساسها في كشف التباين بين المتقابلين وإيضاح التمايز بين الطرفين مما يجعل المقابلة لها دور بارز في الحجاج والتأثير على الخصم، إذ إنها "من التقنيات الخطابية المهمة المولدة للسؤال والباعثة على النظر والتدبر، بل إن حقائق الأشياء لا تتضح بجلاء حتى تنتظم بينهما علاقات التضاد، وللمقابلة في الخطاب الحجاجي قوة تأثيرية بالغة، وطاقة إبلاغية مهمة" (١).

بلاغة اقتران الجملة بعلتها وأثره الحجاجي:

يؤكد محمد النفس الزَّكيَّة استحقاقه للخلافة بمجيء ذلك على أفعل التفضيل" **وَأَنَا أَوْلَى بِالْأَمْرِ مِنكَ وَأَوْفَى بِالعَهْدِ**" ثم يعلِّل بهذا بما يدل على غدر **أبي جعفر** وعدم التزامه بالوعود التى يقطعها على نفسه، فيقول:" **لِأَنَّكَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ العَهْدِ وَالْأَمَانِ مَا أَعْطَيْتُهُ رِجَالًا قَبْلِي**" وقد اقترن التفضيل بالتعليل حتى تزداد الثقة؛ لأن ذكر الشيء مقترنًا بعلته من أهم وسائل التأثير والإقناع لدى المتلقي، وذلك من حيث إن "إثبات الشيء معللًا آكد في النفس من إثباته مجردًا عن التعليل" (٢)، وهو من الروابط الحجاجية التي تؤدى إلى تماسك الكلام وإحكام نسجه، وترابط معانيه، ارتباط العلة بالمعلول والسببية بالسبب، فـ " العلاقة بين الحجة والنتيجة ليست اعتباطية، بل هي ناجمة عن توجيه تحكمه المشيرات اللغوية الحجاجية" (٣).

---

(١) الحجاج الجدلي، خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي، د/ عبدالله البهلول، ص ٢٥٥، ٢٥٦، قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط:١، ٢٠١٣م، نقلًا عن الحجاج في قصيدة المتبني: (غيري بأكثر هذا الناس ينخدع)، مجلة العربية، ٢٠١٩م، مجلد ٥٢.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي، ٧٦/٣، المكتبة العنصرية . بيروت، ط١: الأولى ، ١٤٢٣هـ.

(٣) بلاغة الإقناع في المناظرة، د/ عبداللطيف عادل، ص١٠٠، منشورات ضفاف، بيروت . لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط: الأولى، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

ثم ختم رسالته بما يدل على استحقاقه للخلافة وفي المقابلة منتهى غدر **أبـي جعفر** وعدم وفائه، فقال:" **فَأَيُّ الْأَمَانَاتِ تُعْطِينِي! أَمَانُ ابْنِ هُبَيْرَةَ ، أَمْ أَمَانُ عَمِّكَ عبدِ الله بنِ عَلِيٍّ، أَمْ أَمَانُ أَبي مُسْلِمٍ !؟** "[1] وهذه الاستفهامات تحمل معنى الاستهزاء والتهكم والسخرية من **أبـي جعفر** دلالة على أنه يقول ما لا يفعل، وهو في ذلك يستند إلى حجج تاريخية لا يمكن أن تتكر، لأنها معلومة لدى المتلقي فهي أحداث من التاريخ ووقائعه مشهورة ، وقد صاغ هذه الحجج في قالب الاستفهام مما يدفع المخاطب إلى مشاركة المتكلم في الوصول إلى المقصود بنفسه دون إملاء عليه، كما أنه يجعل فكرة **محمد النفس الزَّكيَّة** من المسلمات التي لا يمكن أن ينازع فيها، وتخدم هدفه حيث تجعله أحق أن يمنح **أبا جعفر** العهد والأمان والميثاق لأنه لم يخن، ثم صعَّد هذا الاستحقاق بأنه لم يكتف بحجة واحدة ، وإنما أقام هذه الفكرة على الاستقصاء؛ حيث استقصي كل من غدر بهم **أبـو جعفر** فعدوهم وذكر أسماءهم وهذا يدل على منتهى غدره وعدم وفائه، كما أن مجيء هذا الاستفهام وتعدده يؤكد شدة خوف **محمد النفس الزَّكيَّة** من **أبـي جعفر**، ولكن لشدة كذبه وافترائه استثار نفس **محمد**، كما أنه لم يكن بنفس الوثوق الذي كان عليه **أبو جعفر**، وهذا ما دلت عليه الآية بخلاف **أبى جعفر** فقد صوَّره بصورة المتكبر المتعالي الطاغي.

ومن ثمَّ كانت هذه الاستفهامات بمثابة استدراج له من هذا الادعاء الكاذب إلى صدق خصمه في منحه الأمان.

فهذه الأسئلة هي حجج ضاغطة لقضية أنه أحق بالأمان ومنح العهد والالتزام من **أبـي جعفر المنصور**.

---

(١) **ابن هُبيْرة:** كان من أوابر سلطان الأمويين ورجلًا من شيوخ العرب وسادتهم يسير في ركابه الآلاف ويهابه الجند، وقد أعطاه أبو جعفر الأمام ولكنه أخلف وعده معه، ينظر: تاريخ الطبري ، ٤٥٤/٧-٤٥٥.

عبدالله بن علي: هو عبدالله بن علي عم المنصور كان دعا لنفسه بعد موت السفاح فحاربه المنصور ثم بعث له بأمان إن قدم عليه، فلما قدم أمر بقتله هو وأصحابه سنة ١٤٠هـ، ينظر: الكامل في اللغة والأدب، ٩٦/٤.

أبو مسلم الخراساني: كان يتولى أمور الدعوة في خراسان وقد كان يلقب بأمن آل محمد، وكان قد تطاول على الخلافة وأجاز لنفسه مما لا تحتمله الملوك من الرعية فكان يطيع من أوامر الخلافة ما يعجبه ويرمي وراء ظهره ما لا يعجبه وما لا يوافق هواه ووشى به عند المنصور فاحتال لمقدمه حتى تمكن منه وقتله سنة ١٣٧هـ، ينظر: الكامل في اللغة والأدب، ٩٦/٤.

ولذلك كانت هذه الاستفهامات المتتابعة هي الأسلوب الأنجع في إنكار ما ادعاه **أبو جعفر** وتكذيبه وفضحه والتشهير به وجاء تكذيبه له من جنس فعله هو فقد وعد بالأمان ولم يفي بوعده ، ففي الاستفهام " تشهير بأخطاء الخصم أو النفخ فيها حتى يتسرب الارتياب لصاحبها، وحتى يتسع حجم فداحتها أمام الحضور "(١).

ومجيء هذه الأسئلة في خاتمة الرسالة له دوره الفاعل في الاحتجاج حيث يكون آخر ما يقرع سمع المخاطب، وهو أنه لا عهد له ولا ميثاق وتكون هذه النتيجة التى يصل إليها الخصم بعد مشاركة واقتناع.

والملاحظ أن **أبا** جعفر اقتصر على الترغيب ولذا لم يفتخر بنفسه، أمَّا **محمد النفس الزَّكيَّة** فقد اعتمد على الفخر بنفسه وعلى الحجج التاريخية في أحقيته بالخلافة.

---

(١) بلاغة الإقناع في المناظرة، ص ٢١٦.

المبحث الثالث:

بلاغة الخطاب الحجاجي في رد أبي جعفر المنصور على رد محمد النفس الزّكيّة.

نص الرسالة:

"بسم الله الرحمن الرحيم أمَّا بَعْدُ، فَقَد بَلَغَنِي كَلامُكَ، وقَرَأْتُ كِتَابَكَ ، فَإِذَا جُلُّ فَخْرِكَ بِقَرَابَةِ النِّسَاءِ، لِتُضِلَّ بِهِ الجُفَاةَ والغَوْغَاءَ ولَمْ يجعلِ اللهُ النِّساءَ كالعُمُومَةِ والآباءِ، وَلا كَالعَصَبَةِ والأَولياءِ، لأنَّ الله جَعَلَ العَمَّ أبًا، وَبَدَأَ بِهِ فِي كِتَابِهِ على الوالِدَةِ الدُّنْيَا وَلَو كَانَ اختيارُ اللهِ لهُنَّ على قَدْرِ قَرابَتِهِنَّ كانتْ آمِنَةُ أَقْرَبَهُنَّ رَحِمًا، وَأَعْظَمَهُنَّ حَقًّا، وأَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ غَدًا، ولكنَّ اخْتِيَارَ اللهِ لِخَلْقِهِ عَلى عِلمِهِ لِمَا مَضَى مِنْهُمْ، واصْطِفَائِهِ لَهُم.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِن فَاطِمَةَ أَمِّ أَبِي طَالِبٍ وَوِلَادَتِهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ لَم يَرزُقْ أحدًا مِنْ وَلِدهَا الإسلام لابِنْتًا ولا ابنًا، وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا رُزِقَ الإِسْلَامَ بالقَرَابَةِ رُزِقَهُ عبدُ اللهِ أَوْلَاهُمْ بِكُلِّ خيرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَكِنَّ الأَمْرَ لِلَّهِ يَخْتَارُ لِدِينِهِ مَنْ يَشَاءُ ، قال الله عز وجل: ﴿ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾ [القصص من الآية (٥٦)]، وَلَقَد بَعَثَ اللهُ محمَّدًا –عليه السلام – ولَهُ عُمُومَةٌ أَرْبَعَةٌ فَأَنزَلَ الله عز وجل – : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ ﴾ [الشعراء ، الآية (٢١٤)] فَأَنْذَرَهُم ودَعَاهُم، فَأَجَابَ اثْنَانِ أَحَدُهُمَا أَبِي ، وَأَبَى اثنان أحدُهُمَا أَبُوكَ ، فَقَطَعَ اللهُ ولايَتَهُمَا مِنْهُ ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَينَهُ وَبَيْنَهُمَا إِلَّا وَلَا نمَّةً ولا مِيْرَاثًا، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ ابْنُ أَخَفَّ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا وابْنُ خَيْرِ الأَشْرَارِ، وَلَيْسَ فِي الكُفْرِ بِاللهِ صَغِيرٌ وَلَا فِي عَذَابِ اللهِ خَفِيفٌ وَلا يَسِيرٌ، وَلَيْسَ فِي الشَّرِّ خِيَارٌ، وَلَا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ أَنْ يَفْخَرَ بالنَّارِ، وَستَرِدِ فَتَعْلَمُ ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧ ﴾ [الشعراء ، من الآية (٢٢٧)].

وَأَمَّا مَا فَخَرْتُ بِهِ مِن فَاطمةَ أُمِّ علي وَإِنَّ هَاشِمًا وَلَدَهُ مرتين ، وَمِنْ فاطمة أمِّ حسنٍ، وَأَنَّ عَبْدَ المُطَّلِبِ وَلَدَهُ مَرَّتَيْنِ، وَأَنَّ النَّبِيّ –ﷺ– وَلَدَكَ مَرَّتَيْنِ ، فَخَيرُ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ رَسُولُ الله – ﷺ– وَلَمْ يَلِدْهُ هاشِمٌ إِلَّا مَرَّةً وَلا عَبْدُ المُطَّلِب إِلَّا مَرَّةً .

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ أَوْسَطُ بَنِي هَاشِمٍ نَسَبًا، وَأَصْرَحُهُم أَمًّا وَأَبًا، وَأَنَّهُ لَم يَلِدْكَ العَجَمُ وَلَمْ تُعَرِّقْ فِيكَ أُمَّهَاتُ الأَوْلَادِ، فَقَدْ رَأَيْتُكَ فَخَرْتَ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ طُرًّا، فَانْظُر، وَيْحَكَ، أَيْنَ أَنتَ مِنَ اللهِ غدًا! فَإِنَّكَ قَدْ تَعَدَّيْتَ طَوْرَكَ ، وَفَخَرْتَ عَلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ نَفْسًا وَأَبًا وَأَوَّلًا وآخرًا، إبراهيمُ بن رسولِ الله –ﷺ– وعلى وَالِدٍ وَلَدَهُ، ومَا خَيَارُ بَنِي أَبِيكَ خَاصَّةً وَأَهْلُ الْفَضْلِ مِنْهُمْ إِلَّا بَنُو أُمَّهَاتِ أَوْلَادٍ ، وَمَا وُلِدَ فِيكُمْ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ الله ﷺ أفضلُ مِنْ عَلِّي ابن حُسينٍ، وهُوَ لِأُمِ وَلَدٍ ، وَلَهُوَ خَيْرٌ مِن جَدِّكَ حَسنٍ بن حَسَنٍ ، وَمَا كَانَ فِيكُم بَعْدَهُ مِثْلُ ابْنِهِ مُحمد بنِ عَلِّي ،

وَجَدَّتُهُ أُمُ وَلَدٍ، وَلَهُوَ خَيْرٌ مِنْ أَبِيكَ وَلَا مِثْلُ ابْنِهِ جَعْفَرٍ وَجَدَّتُهُ أُمُّ وَلَدٍ ، وَلَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ.

وَأَمَّا قولك : إنكم بنو رسول الله ﷺ فإن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب من الآية (٤)] وَلَكِنَّكُم بَنُو ابنتَهُ، وَإِنَّهَا لَقَرابَةٌ قَرِيبةٌ، وَلَكِنَّهَا لَا تَحُوزُ المِيْرَاثَ، وَلَا تَرِثُ الوِلَايةَ، وَلَا تَجُوزُ لَهَا الإِمَامَةُ، فَكَيْفَ تُورَثُ بِهَا!؟ وَلَقَدْ طَلَبَهَا أَبُوكَ بِكُلِّ وَجْهٍ فَأَخْرَجَهَا نَهَارًا، وَمَرَّضَهَا سِرًّا، وَدَفَنَهَا لَيْلًا، فَأَبَى النَّاسُ إِلَّا الشَّيْخَيْنِ وَتَفْضِيلِهِمَا، وَلَقَدْ جَاءَتِ السُّنَّةُ التِي لا اخْتِلَافَ فِيهَا بَيْنَ المسلمين أَنَّ الجَدَّ أَبَا الأُمِّ والخَالَ والخَالَةَ لا يُورَثُونَ.

وَأَمَّا مَا فَخَرْتُ بِهِ مِن عَلِيٍّ وَسَابِقَتِهِ ، فَقَدْ حَضَرَتْ رَسُولَ الله –ﷺ– الوَفَاةُ ، فَأَمر غَيْرهُ بالصلاة ، ثُمَّ أَخَذَ النَّاسُ رَجُلًا بَعْدَ رَجُلٍ فلم يأخُذُوهُ ، وكَانَ في السِّتَّةَ فَتَرَكُوهُ كُلُّهُم دَفْعًا لَهُ عَنْهَا، وَلَمْ يَرَوْا لهُ حَقًّا فِيهَا ، وَأَمَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَدَّمَ عَلَيْهِ عُثْمَانَ ، وقتل عثمان وَهُوَ لَهُ مُتَّهِمٌ ، وَقَاتَلَهُ طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ ، وَأَبِي سَعْدٌ بَيْعَتَهُ ، وَأَغْلَقَ دُونَهُ بَابَهُ ، ثُمَّ بَايَعَ مُعَاوِيَةَ بَعْدَهُ ثُمَّ طَلَبَهَا بِكُلِّ وَجْهٍ وَقَاتَلَ عَلَيْهَا ، وَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَشَكَّ فِيهِ شِيْعَتُهُ قَبْل الحُكُومَةِ، ثُمَّ حَكَّمَ حَكَمَينِ رَضِيَ بِهِمَا، وَأَعْطَاهُمَا عَهْدَهُ ومِيثَاقَهُ ، فاجتمَعَا على خَلْعِهِ ثُمَّ كَانَ حَسَنٌ فَبَاعَهَا مِن مُعَاوِيةَ بِخَرقٍ وَدَرَاهِمَ وَلَحِقَ بالحِجَازِ ، وأَسْلَم شيعته بيدِ مُعاوية ودَفَع الأَمْرَ إلى غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَأَخَذَ مَالًا مِنْ غَيْرِ وَلَايةٍ وَلَا حِلِّهِ ، فَإِنْ كَانَ لكم فيها شَئٌ فَقَد بِعْتُمُوهُ وَأَخَّذْتُم ثَمَنَهُ. ثُمَّ خَرَجَ عَمُّكَ حُسَينٌ بن علي عَلَى ابن مَرْجَانة ، فكَانَ النأس مَعهُ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلُوهُ ، وَأَتَوا برأَسِهِ إليه ، ثُمَّ خَرَجْتُم عَلى بَنِي أُمَيَّةَ ، فَقَتَلُوكُمْ وَصَلَبُوكُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْل ، وَأَحْرَقُوكُمْ بِالنِّيرَانِ ، وَنَفَوْكُم مِنْ البُلْدَانِ ، حَتَّى قُتِلَ يَحْيَى بن زَيْدِ بُخْرَاسَانِ ، وَقَتَلُوا رِجَالَكُم وَأَسَرُوا الصِّبْيَة والنِّسَاءَ، وحَمَلُوهُم بِلَا وِطَاءٍ فِي المَحَافِلِ كالسَّبي المَجْلُوبِ إِلى الشَّامِ، حتَّى خَرَجْنَا عَلَيْهِم فَطَلَبْنَا بِثَأْرِكُمْ ، وَأَدْرَكنَا بِدمَائِكُمْ وَأَوْرَثْنَاكُمْ أَرْضَهُم وديَارَهُم ، وسَنَّيْنَا سَلَفَكُمْ وَفَضَّلْنَاهُ ، فَاتَّخَذْتَ ذَلِكَ عَلَيْنَا حُجَّةً .

وَظَنَنْتَ أَنَّا إِنَّما ذَكَرْنَا أَبَاكَ وَفَضَّلْنَاهُ لِلتَّقْدِمَةِ مَنَّا لَهُ عَلَى حمْزَةَ والعَبَاسِ وَجَعْفَرٍ ، وَلَيْسَ ذَلِك كَمَا ظَنَنْتَ ، وَلَكِن خَرَجَ هَؤُلاءِ من الدُّنْيَا سَالِمِينَ ، مُتَسَلَّمًا مِنْهُم ، مُجْتَمَعًا عَلَيْهِمْ بِالفَضْل ، وابْتَلي أَبُوكَ بالقِتَالِ والحَرْبِ ، وكَانَت بنُو أُمية تلعَنُه كَمَا تَلْعَنُ الكَفَرةَ في الصَّلاةِ المكْتُوبَةِ، فاحْتَجَجْنَا لَهُ، وذَكَّرنَاهُم بِفَضْلِهِ، وعَنَّفْنَاهُمْ وظَلَمْنَاهُمْ بِمَا نَالُوا مِنْهُ، وَلَقَد عَلِمْتَ أَنَّ مَكْرُمَتَنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ سِقَايَةُ الحَجِيج الأَعظَمِ، وَوِلايَةُ زَمزَمَ، فَصَارَت للعبَّاس مِنْ بين إِخْوتِهِ، فَنَازَعَنَا فِيهَا أَبُوكَ، فَقَضَى لنَا عَليهِ عُمَرُ، فَلَمْ نَزَلْ نَلِيهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ والإِسْلام، وَلَقَد قَحَطَ أَهْلُ المدينةِ فَلَمْ يُتوسَّلْ عُمَرُ إِلَى رَبِّه وَلَمْ يَتَقَّربْ إِليهِ إِلا بِأَبِينَا، حَتَّى نَعَشَهُم اللهُ وَسَقَاهُم

الغَيْثَ، وَأَبُوكَ حَاضِرٌ فَلَمْ يُتَوَسل بِهِ، وَلَقَد عَلِمْتَ أَنَّهُ لَم يَبْقَ أَحَدٌ مِن بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ بعدَ النبي –ﷺ– غَيرهُ ، فكَانَ ورَاثَةٌ مِن عُمُومَتِهِ، ثُمَّ طَلَبَ هَذا الأمْرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِن بَنِي هَاشِمٍ فَلَم يَنَلهُ إلَّا وَلَدُهُ، فالسِّقايَةُ سِقَايَتُهُ، ومِيرَاثُ النَّبي لَهُ، والخِلافَةُ فِي وَلَدِهِ، فَلَم يَبْقَ شَرَفٌ وَلا فَضْلٌ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلا إِسْلامٍ فِي دُنْيَا وَلا آخِرَةٍ إلا والعَبَّاسُ وَارِثُهُ وَمُوَرِّثُهُ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِن بَدْرٍ، فَإِنَّ الإِسْلَامَ جَاءَ والعَبَّاسُ يُمَوِّنُ أَبَا طَالِبٍ وَعِيالَهُ، وَيُنْفِقُ عَلَيْهِمْ لِلأَزْمَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُ ، وَلَولا أَنَّ العَبَّاسَ أُخْرِجَ إِلَى بَدرٍ كَارِهًا لَمَاتَ طَالِبٌ وعَقِيلٌ جُوعًا ، وَلَلَحَسا جِفَانَ عُتْبَةَ وَشَيْبَةَ، وَلَكِنَّه كَانَ مِنْ المُطْعِمِين، فَأَذْهَبَ عَنْكُمُ العَارَ والسُّبَّة ، وَكَفَاكُم النَّفَقَةَ والمَئُونَةَ ، ثُمَّ فَدَى عَقِيلًا يَوْمَ بَدْرٍ ، فَكَيْفَ تَفْخَرُ عَلَيْنَا وَقَدْ عُلْنَاكُمْ فِي الكُفْرِ وَفَدَيْنَاكُم مِن الأَسْرِ، وحُزْنَا عَلَيْكُمْ مَكَارِمَ الآباء، وَوَرِثْنَا دُونَكُم خَاتَمَ الأَنْبِيَاء، وَطَلَبنَا بِثَأْرِكُمْ فَأَدْرَكْنَا مِنْهُ مَا عَجَزْتُم عَنْهُ ، وَلَمْ تُدْرِكُوا لأَنْفُسِكُمْ ، والسَّلامُ عَليكَ ورحمةُ اللهِ"[1].

أخذ **أبو جعفر المنصور** في إبطال حجج **محمد النفس الزكية** وقد اعتمد في ذلك على الأدوات اللغوية والأساليب البلاغية والحجج التاريخية والدينية ... وغيرها من أساليب الإقناع التي تحقق هدفه من رسالته، وهو دحض هذه الحجج بحجج أقوى منها حتى يضمن لخطابه التأثير والإقناع .

بلاغة براعة الاستهلال :

تظهر براعة الاستهلال هنا في كونها انعكاسًا لرسالة **محمد النفس الزَّكيَّة** اعلى نفسه، إذ اقتصر على البسملة فقط، دون أن يذكر طرفي الخطاب، والآية القرآنية كما كان في رسالته الأولى، وهذا يدل على منتهى انفعاله، وشدة غضبه، ومن ثَمَّ تغيرت طريقة الاستهلال، وأردف البسملة بقوله: :" **أمَّا بَعْد**" وهي كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر ، والمبتدئ بها قيل داود عليه السلام، فهي فصل الخطاب الذي أوتيه لأنها تفصل بين المقدمات والمقاصد والخطب والمواعظ ، والمراد بفصل الخطاب : الفصل بين الحق والباطل، ولكون "**أمَّا**" نابت عن اسم شرط هو " **مهما**" أجيبت بالفاء، إذ التقدير: مهما يكن من شيء[2]. وهو تعبير يصوّر لنا قوة غضب **أبو جعفر المنصور**، وشدته في الرد، ورغبته في الوصول إلى المضمون في لمحة خاطفة وكأن خطاب **محمد النفس الزَّكِيَّة** استثار غضبه فأراد

---

(١) تاريخ الطبري ، ٥٦٨/٧–٥٧١.

(٢) ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان ، اعتنى بها/ خليل مأمون شيحا، ٣٣/١، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط: الرابعة، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م.

أن يصل إلى المراد مباشرة، فهي تطوي وراءها ما تطوي من نفس مستثارة، والتقدير: مهما يكن من شيء فقد بلغني كلامك ، وقرأت كتابك، ثم أكد وصوله خطاب **محمد النفس الزَّكيَّة** وقراءته له وتمكنه منه بـ " **قد**" ودخولها على الفعل الماضي " **بَلَغَنِي –قَرَأْتُ**" مما يدل على التحقق والثبوت، ثم صوَّر لنا شدة اهتمامه بهذا الخطاب وحرصه على قراءته بالتعبير بـ" **بَلَغَنِي**" دون "**وَصَلَني**" فـ" البلوغ والابلاغ: الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى مكانا كان أو زمانًا، أو أمرًا من الأمور المقدرة"(١)، وهذا الفعل يصِّور لنا من وجه آخر شدة حرص **محمد النفس الزَّكيَّة** على تبليغ رسالته **لأبي جعفر**.

ولم يكتفِ بمجرد التبليغ وإنما لتأكيد قراءته لها ونفي أن تكون وصلته على لسان أحد ترقى من مجرد التبليغ " **بَلَغَنِي كَلامُكَ**" إلى القراءة " **قَرَأْتُ كِتَابَكَ**" لإبراز شدة اهتمامه بهذه الرسالة، واحتشاده لها ، ولذلك استخدم ضمير المتكلم " **الياء – التاء**" لإفادة التخصيص، وانطباع صورة المتكلم في ذهن المخاطب مما يجعله أكثر اقتناعًا بما يقول، وكذلك استخدم ضمير المخاطب " **الكاف**" ليفيد تخصيصه بالخطاب واستمالته فيكون أقوى في الحجة .

ثم تتبع **أبو جعفر المنصور** حجج **النفس الزَّكيَّة** ، ورد عليها واحدة واحدة، لكنه خالف النسق في ترتيب الحجج ، فدحض الحجج لم يأت مرتبًا عند **أبي جعفر** كما كان عند **محمد النفس الزَّكيَّة**، وإنما خالف النسق الحجاجي لهدف في نفسه، وهو إبطال الحجة الأقوى **لمحمد النفس الزكية**، وهي القرابة من رسول الله –ﷺ– بقرابة النساء.

بلاغة الحجاج ب" أمَّا" التفصيلية:

الملاحظ في هذه الرسالة أنها اعتمدت " **أمَّا**" التفصيلية الحجاجية أسلوبًا محوريًّا، وظفه **أبو جعفر المنصور** لمحاصرة الحجج التي ذكرها **محمد النفس الزَّكيَّة** حجة حجة ثم الرد عليها، وإبطالها واحدة تلو الأخرى.

بلاغة إبطال حجية الفخر بقرابة النساء :

أخذ في إبطال ادعاء الأفضلية بالقرابة التي تستوجب الأحقية بالخلافة، بأن الفخر بالنساء ليس من شيم العرب، ولا تتخدع به إلا الجفاة والغوغاء، ولا ينطلي على غيرهم، فقال:" **فَإِذَا جُلُّ فَخْرِكَ بِقَرَابَةِ النِّساءِ، لِتُضِلَّ بِهِ الجُفَاةَ والغَوْغَاءَ**".

---

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، المحقق/ صفوان عدنان الداودي، ص ١٤٤، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق – بيروت، ط : الأولى، ١٤١٢هـ.

وقد صاغ هذه الحجة في قالب الشرط؛ للربط بين الشرط والجزاء؛ حيث إن " الربط المباشر بين السبب والنتيجة يقوي علاقة الجمل بعضها ببعض ويصبّ في مصلحة التماسك الدلالي للفكرة المقصودة"(١).

والجفاة : رجل جافي الخِلْقَةِ وَجَافِي الخُلُقِ إذا كان كَزًّا إذا كان كزًّا غَلِيظَ العِشرة والخُرْقِ في المعاملةِ والتَّحامُلِ عِندَ الغَضَبِ والسَّورَةِ على الجليس، والجَفَاءُ: غِلَظُ الطَّبعِ، وفي الحديث: مَنْ بَدا جَفَا، خرج إلى البادية، أي مَنْ سَكَنَ البادية غَلُظَ طبعُهُ لِقِلَّةِ مُخَالطةِ الناسِ(٢)، وتظهر تقنية السلم الحجاجي(٣) في عطف **الغوغاءِ** على **الجفاةِ**، حيث انتقل **أبو جعفر** مما يشعر بفظاظتهم وغلظتهم إلى ما هو في قمة انحطاطهم وهوانهم واستخفافهم، فأصل **الغوغاء**: الجراد حين يخف للطيران ثم استعير للسفلة من الناس والمتسرعين إلى الشر، ويجوز أن يكون من الغوغاء الصوت والجلبة لكثرة لغطهم وصياحهم(٤).

فتقنية السلم الحجاجى هنا تؤدي دورًا حجاجيًّا مهما في إقناع المتلقي بأن فخره بقرابة النساء ليس من شيم العرب، وإنما هو من طبائع الجفاة والغوغاء ، وهذا إبطال للمذهب من أصله، فإذا ما انهار هذا العمود من الأساس عند النفس الزَّكيَّة انهارت جميع حججه.

ولم يكتف **أبو جعفر المنصور** في إبطال هذه الحجة بحجة واحدة، وإنما لقوتها توالت الحجج التي تنسف ما ادعاه **محمد النفس الزَّكيَّة**.

واعتمد في إبطالها على الحجج الدينية ، فقال :" **ولمْ يجعلِ اللهُ النِّساءَ كالعُمُومَةِ والآباءِ، وَلا كَالعَصَبَةِ والأَولياءِ** " فالله عز وجل لم يجعل النساء في الفضل والقرابة كالعمومة والآباء ولا كالعصبة الذين لا يرثون إلا لما بقي من أصحاب الفروض ولا الأولياء ، وعلل لذلك" **لأنَّ الله جَعَلَ العَمَّ أَبًا، وَبَدَأَ بهِ في كِتَابِهِ على الوالِدَةِ الدُّنْيَا**"، وأكد هذه الحجة بـ " **إنَّ**" والتعبير بالفعل

---

(١) وسائل التماسك النصي في الخطب النبوية، الدكتور/ أحمد كنون، ص١٨٧، دار النابغة، ط: الأولى، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م .

(٢) ينظر: اللسان، مادة: (جفا).

(٣) السلم الحجاجى: "علاقة ترتيبية للحجج بشكل عمودي من الحجة الضعيفة إلى الحجة القوية أي من الحجة الأبعد في التدليل على المدلول/ النتيجة، إلى الحجة الأقرب دلالة على المدلول في القسم الحجاجي الواحد ، أو الفئة الحجاجية الواحدة" الحجاج في نهج البلاغة الرسائل اختيارًا ، ص ١٦١.

(٤) ينظر: اللسان، مادة: (غوغ).

الماضي " **جَعَلَ – بَدَأَ**" مما يدل على التحقق والثبوت، كما أن في إسناد هذه الأفعال لله –عز وجل– ما يعطى مزيدًا من التعظيم وقوة في الحجاج، ثم ترقى في إبطال حجة القرابة من خلال أسلوب الشرط الذي يفيد التنزل مع الخصم لإبطال حجته، فقال:" **وَلَو كَانَ اختيارُ اللهِ لهُنَّ على قَدْرِ قَرابَتِهِنَّ** ..." وتقوم حجاجية الشرط في ترابط الكلام، وسبك أجزائه إذ الشرط في أصله " أسلوب لغوى ينبني بالتحليل على جزءين الأول منزل بمنزلة السبب ، يتحقق الثاني إذا تحقق الأول ، وينعدم الثاني إذا انعدم الأول، وجود الثاني معلق على وجود الأول"(١) وإذا كانت علاقة السببية هي الرابطة بين الشرط وجوابه، فهي تعد" من أبرز العلاقات الحجاجية، وأقدرها على التأثير في المتلقي، وهي في حقيقة الأمر ضرب مخصوص من العلاقات التتابعية، إذ يحرص المتكلم على ربط الأفكار والوصل بين أجزاء الكلام دون الاكتفاء بتلاحق عادي بينها وتتابع طبيعي يجعل الأحداث والأفعال أو الأفكار، والأحكام متسلسلة متجاوبة بل يعمد إلى مستوى أعمق من العلاقة فنجعل الأحداث أسبابًا لأحداث أخرى، ويسم فعلًا ما بأنه نتيجة متوقعة لفعل سابق، ويجعل موقفًا معينًا مباشرًا لموقف لاحق"(٢). وهذا الشرط افتراض جدلي للاستدراج الإبطال حجة الخصم، فلو كان الفخر بقرابة بالنساء لكان الفخر بقرابة **آمنة** أولى؛ لأنها لها السبق في الفضل والقرابة من "**فاطمة بنت عمرو**": فقال:" **كانتْ آمِنَةُ أَقْرَبَهُنَّ رَحِمًا، وَأَعْظَمَهُنَّ حَقًّا، وأَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ غَدًا**"وأكد ذلك بمجيء هذه الصفات على أفعل التفضيل، وهو ما يستعمل في عقد موازنة بين طرفين، وإثبات تفوق المفضل على المفضل عليه، كما أن تعاقبه يحدث نغمًا موسيقيًّا يستميل المتلقي ويجذبه، فيمنح الخطاب قوة الإقناع وهذا مما يؤكد حجته.

ثم ترقي في إبطال هذه الحجة ببيان أن اختيار الله لهن على قدر قرابتهن درجة أدنى، واختيار الله لخلقه على علمه درجة أعلى في الاختيار، فجاءت "**لكن**" في قوله: "**ولكنَّ اخْتِيَارَ اللَّهِ لِخَلْقِهِ عَلى عِلمِهِ لِمَا مَضَى مِنْهُمْ، واصْطِفَائِهِ لَهُم**" لتدل على أن ما بعدها أقوى مما قبلها في درجات السُّلم الحجاجي فـ " الدليل الذي يرد بعد "**لكن**" يكون أقوى من الدليل الذي يرد قبله، وتكون له الغلبة بحيث يتمكن من توجيه القول بمجمله، فتكون النتيجة التي يقصد إليها هذا

---

(١) في النحو العربي (نقد وتوجيه) مهدي المخزومي، ص ٢٨٤، دار الرائد العربي ، بيروت– لبنان، ط: الثانية، ١٤٠٦هـ–١٩٨٧م .

(٢) الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص٣٢٧.

الدليل ويخدمها هي نتيجة القول برمته"[١].

وقد جعل **أبو جعفر** هذه الحجة أكثر تأثيرًا وإقناعًا في المتلقي من خلال توظيفه لـ " **لام التعليل**" التي تكررت وهي من أهم " الأدوات اللغوية التي يستعملها المرسِل لتركيب خطابه الحجاجي"[٢]، ولا شك أن ذكر الشيء مقترناً بعلته أوكد في نفس المتلقي، كما تعاون مع " **لام التعليل**" رابط حجاجي آخر وهو "**الواو**"، حيث تكررت بين الحجج (٧) سبع مرات؛ وهي تعمل على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض، وتعمل على تقوية الحجج وتماسكها"[٣]، وهذا ما يجعل هذه الحجج أكثر قبولًا لدى المتلقي وأشد اقتناعًا بها.

ثم صعَّد إبطال حجته بالتفصيل بعد الإجمال وهنا تجد أن **أبا جعفر** قد وظف حجة تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له والتي تقوم "على تقسيم كل إلى أجزائه المكونة له وبيان أن حكمًا ما ينطبق على كل جزء من أجزائه ينطبق تبعًا لذلك على الكل"[٤]. فقال:" **وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِن فَاطِمَةَ أَمّ أَبِي طَالِبٍ وَوِلَادَتِهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ لَم يَرزُقْ أحدًا مِنْ وَلِدهَا الإسلام لابِنْتًا ولا ابنًا** " فهذه التي تفتخر بها لم تنجب من يدخل الإسلام ولم يأت من ولدها ما يدل على أفضليتها، وقد استقصى ذلك بوقوع " **أحد**" نكرة في سياق النفي وهي تفيد العموم، ثم الاستقصاء في قوله:" **لا بِنْتًا ولا وَلَدًا**" وهذا يؤكد أنه لا يوجد ما يعزّز الافتخار بها. فلم يُرزق أحد الإسلام بالقرابة، ولو كان فإن **عبد الله** أولى بكل خير في الدنيا والآخرة، ولكن "**الله**" يختار لدينه من يشاء، وجعل الاختيار" **لله**"، دليل على أن مسألة الاختيار ليست بالقرابة ولا بالنسب ولكنها "**الله**" يختار ما يشاء، ومن ثمَّ فإن الحجة " **وَلَكِنَّ الأَمْرَ بِلَّهِ يَخْتَارُ لِدِينِهِ مَنْ يَشَاءُ**" أقوى في الحجاج وأعلى في سلمه من مجرد " **وَلَو أَنَّ أَحَدًا رُزِق...**" ثم صعَّد السلم الحجاجي بالحجة الجاهزة وهي الاقتباس من القرآن الكريم بقوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ ﴾ وجاء الاقتباس لتوكيد الحجة وتقريرها فـ " لم تتوقف درجة الاقتباس من النص القرآني عند حدود المقدمة والافتتاح بل أصبحت الآيات منتقاة في مواضع الاستشهاد والتأكيد، وإن لجأ الكاتب إلى التأويل، وتجاوز الظاهر إلى الباطن بما يضمن له الانتصار لموقفه وإفحام أدلة خصمه"[٥].

---

(١) الحجاج والشعر نحو تحليل حجاجي لنص شعر معاصر، أبو بكر العزاوي، ص ٣٧٤، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، كلية الآداب بني هلال، العدد السابع، ١٩٩٢م.

(٢) استراتيجيات الخطاب ، ص٤٧٨.

(٣) الحجاج في نهج البلاغة الرسائل اختيارًا، ص١١٥.

(٤) الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص٢٠٧.

(٥) مستويات الحوار ، ص ٥٨.

ثم تتوالى الحجج التاريخية صاعدة في إبطال حجة **محمد النفس الزَّكيَّة** باستقصاء أعمام البني–ﷺ– ، فقال :" **وَلَقَد بَعَثَ اللهُ محمَّدًا –عليه السلام – ولَهُ عُمُومَةٌ أَرْبَعَةٌ فَأَنزَلَ الله عز وجل** – : ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ** ﴿٢١٤﴾ وهذه الحجة الجاهزة تأكيد لقوله:" **وَلَكِنَّ الأَمْرَ لِلَّهِ يَخْتَارُ لِدِينِهِ مَنْ يَشَاءُ**" ثم فصَّل في حال النبي –ﷺ–مع أعمامه زيادة في توضيح الأمر لإقناع المخاطب " **فَأَنْذَرَهُم ودَعَاهُم، فَأَجَابَ اثْنَانِ أَحَدُهُمَا أَبِي ، وَأَبَى اثنان أحدُهُمَا أَبُوكَ**"[١] ، فلو كان الأمر على القرابة لأسلموا جميعًا، والتفصيل في قوله : " **أَحَدُهُمَا أَبِي – أحدُهُمَا أَبُوكَ** " زيارة في تأكيد أحقية العباسيين بالخلافة، واستبعادها عن العلويين مؤكدًا ذلك بقوله :" **فَقَطَعَ اللهُ ولايَتَهُمَا مِنْهُ ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَينَهُ وَبَيْنَهُمَا إِلَّا وَلَا ذمَّةً ولا مِيْرَاثًا**" فالقرابة لم يُعوَّل عليها، ولم تثبت لهم حق، ولذلك عبر بالفعل الماضي "**بَعَثَ – أَنْذَرَهُم – دَعَاهُم – أَجَابَ – أَبَى – قَطَعَ**" للدلالة على الثبات والتحقق والاستقرار، كما أن التعبير بالفعل المضارع "**وَلَم يَجْعَل**" في نفي إثبات حقوقهما؛ باستمرار هذا النفي، وهذا ينفي أحقية العلويين للخلافة ، وقد أكثر من أدوات التأكيد في هذه الحجج " **لقد – إِنَّ – أَنَّ" واسمية الجملة**؛ لأن التأكيد من وسائل الإقناع، ويلجأ إليه المتكلم لتأكيد حجه وتثبيتها في ذهن السامع؛ لإقناعه بها، فـ " التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده، وهو دقيق المأخذ، كثير الفوائد"[٢].

من هنا نلحظ أن **أبا جعفر المنصور** قد أبطل ادعاء **محمد النفس الزَّكيَّة** وفنده بالحجج القوية التي تدفعه وتثبت ضده لدى المتلقي ، و تثبت اعتقاد آخر لديه غير ما يدعيه من أحقية الإمارة، وبذلك يندفع ركن من الأركان التي اعتمد عليها **محمد النفس الزَّكيَّة** في بيان أحقيتهم بالإمارة وينبغي عليه أن يعلن التسليم والإذعان.

بلاغة إبطال حجة الأفضلية:

ثم انتقل بعد ذلك إلى إبطال الحجة الثانية **لمحمد النفس الزَّكيَّة**، وقد وظف من الأدوات اللغوية والروابط الحجاجية والحجج الدينية ما يدحض حجته ويبطلها ، فقال :" **وَزَعَمْتَ أَنَّكَ ابْنُ أَخَفَّ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا وابْنُ خَيْرِ الأَشْرَارِ، وَلَيْسَ في الكُفْرِ بِاللهِ صَغِيرٌ وَلَا فِي عَذَابِ اللَّهِ**

---

(١) أجاب اثنان : حمزة والعباس ، أبى اثنان: أبو طالب وأبو لهب .

(٢) الطراز ، ٢/٩٤.

خَفِيفٌ وَلا يَسِيرٌ، وَلَيْسَ فِي الشَّرِّ خِيَارٌ، وَلَا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ أَنْ يَفْخَرَ بِالنَّارِ، وَسترَدِ فَتَعْلَمُ ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾.

وقد اختار أبو جعفر من المفردات ما يدل على أن ادعاءه باطل، فاختار المفردة "**زَعَمْتَ**" والسؤال هنا: لماذا اختار **أبو جعفر المنصور** هذه المفردة دون غيرها مما استدعاه الذهن؟

إن استدعاء هذه اللفظة دون غيرها في هذا السياق الحجاجي يدل دلالة واضحة على أن طاقتها الحجاجية في بيان كذب الخصم، وادعائه، مما يخدم فكرة تقوم على الزعم الذي يتضمن الكذب والادعاء، ومخالفة الحقيقة، وأنه ليس لهذا الزعم أساس في الواقع، وهذا مما يبطل دعواه، ويهدم ما زعمه، ويخدم قضية **أبي جعفر المنصور** وهي أحقيته بالخلافة دونه.

وهذا الاختيار للمفردة يطلق عليه مصطلح الحركة الحجاجية و المقصود بحركة الكلمة الحجاجية مزاحمتها غيرها من الكلمات اللاتي هنَّ من جدولها المعجمي، أو هنَّ من غير جدولها المعجمي حيث ينشأ بينهما تنافس، وتدب في صفوفهن حركة من أجل أن تظفر إحداهن بمكان لها في الملفوظ عوضًا عن سائرهن، تتحقق فيه، وتستبد به، وتقصيهن عنهن(١).

فالزعم يجعل ما جرى على لسان الخصم محض افتراء وكذب لا يصح الأخذ به، ولا التعويل عليه مما يسم ما زعمه لا ينهض على الحجاج والإقناع.

ومن ثم وجب على المحاجج أن يختار المفردة التي تمنح الحجاج قوة وتأثيرًا، وتزيد من إقناع الخصم، وتضعف من حججه، فهي أولى من غيرها في هدم حجج الخصم وإبطالها .... فانظر كيف نقلت كلمة "**زعم**" من هدم حجج الخصم إلى البناء في حجج **أبي جعفر؟**

فالكلمة "**زعم**" لها وقع نفس يخدم هدف **أبي جعفر** وهو إقناع المتلقي بفكرة أحقيته بالخلافة والتسليم بها، ثم إن رميها في صدر حجته فيه إسراع بهدم هذه الحجة وزيفها ... ثم إن الكلمة ذاتها تحمل المتلقي إلى عدم التسليم ما يقول ، وألا ينساق وراء هذه الادعاءات.

وأكد ذلك في رده بالنفي بـ " **ليس**" وتكراره في قوله :" **وَلَيْسَ فِي الكُفْرِ بِاللهِ صَغِيرٌ وَلَا فِي عَذَابِ اللَّهِ خَفِيفٌ وَلا يَسِيرٌ، وَلَيْسَ فِي الشَّرِّ خِيَارٌ**" التي وضعت بأصلها للنفي ولا تفيد غيره كما أنها تدل على استمرارية النفي، ثم ترقى في إبطال هذه الحجة بالنفي بـ "**لا**" وتكراره و " **لا**"

(١) ينظر: الحجاج في القرآن، ص١٦٩.

حرف موضوع لنفي المستقبل، فلا ينفى بها فعل الحال"[١] تأمل قوله :" **وَلَا فِي عَذَابِ اللَّهِ خَفِيفٌ وَلَا يَسِيرٌ، وَلَيْسَ فِي الشَّرِّ خِيَارٌ، وَلَا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ أَنْ يَفْخَرَ بِالنَّارِ**" ثم ختم هذا الرد بما يؤكده ويقرره وهى الحجة الدينية" **وستَرِدِ فَتَعْلَمَ** ، ﴿ **وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾** ﴾ **[الشعراء ، من الآية (٢٢٧)]**.

ثم زاد من قبول هذا الرد وانطباعه في ذهن المخاطب بالربط بـ " **الواو**" وتكرارها حيث قال: "**وزَعَمْتَ – وابْنُ خَيْرِ الأشرارِ –وَلَيسَ في الكُفْرِ– وَلَا في عَذَابِ الله – ولَيس فِي الشَّرِّ– ولَا يَنْبَغِي**" فالواو تجمع بين الحجج الواهية التي أقامها **محمد النفس الزَّكيَّة**، وبين الحجج الباطلة، والحجج الصحيحة التي ساقها **أبو جعفر** حتى يقف المتلقي على هذا التناقض بين الحجج الباطلة والحجج التي تدحض الافتراء .

بلاغة إبطال حجة الفخر بـ(فاطمة أم علي) :

يقول :" **وَأَمَّا مَا فَخَرْتُ بِهِ مِن فَاطمةَ أُمَّ علي[٢] وَإِنَّ هَاشِمًا وَلَدَهُ مرتين[٣]، وَمِنْ فاطمة أمَّ حسنٍ، وَأَنَّ عَبْدَ المُطَّلِبِ وَلَدَهُ مَرَّتَيْنِ[٤]، وَأَنَّ النَّبِيّ –ﷺ– وَلَدَكَ مَرَّتَيْنِ[٥]، فَخَيرُ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ رَسُولُ الله – ﷺ– وَلَمْ يَلِدْهُ هاشِمٌ إِلَّا مَرَّةً وَلا عَبْدُ المُطَّلِب إِلَّا مَرَّةً**" .

وأما ما فخرت به من ولادة هاشم لعلي مرتين، ولولادة عبد المطلب له مرتين، ولولادة النبي –ﷺ– لك مرتين فهذا ادعاء باطل؛ لأن النبي –ﷺ– خير الأولين والآخرين، ولم يلده هاشم ولا عبد المطلب إلا مرة واحدة.

وسياق قصر الخيرية والفضل على رسول الله –ﷺ– اقتضى مجيء اسم التفضيل "**خير**"، ومجيء هذا الاسم دون غيره دلالة على أن السابقين لهم فضل وخيرية، لكن هناك من

---

(١) شرح المفصل، ٣١/٥.

(٢) **فاطمة أم علي** : هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، ولم يرد لها ذكر في رسالة **محمد النفس الزَّكيَّة** السابقة. ينظر: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، تأليف/ أحمد زكي صفوت، ٥٢٢/١، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان.

(٣) ولادة هاشم لعلى مرتين كائنة من جهة علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ومن جهة فاطمة بنت أسد بن هاشم.

(٤) ولادة عبد المطلب للحسن بن علي مرتين كائنة من أبيه علي ومن جهة أمه فاطمة.

(٥) ولادة النبي –ﷺ– له مرتين كائنة من جهة الحسن والحسين.

تتوفر فيه كمال الخيرية وهو الرسول –ﷺ–، وأكد هذه الخيرية بالإحاطة والشمول في قوله: "**الأَوَّلِينَ و الآخِرِينَ**" بحيث لا يدع مجالًا للمفاضلة، ثم ترقى في دحض هذه الحجة بأسلوب القصر الذي طريقه النفي والاستثناء وكرره مرتين " **وَلَمْ يَلِدْهُ هاشِمٌ إِلَّا مَرَّةً وَلا عَبْدُ المُطَّلِب إِلَّا مَـرَّةً**" ولا يؤتي بهذا الأسلوب إلا في المعنى الذي يحتاج إلى تقرير وتوكيد، ولا تلقاك هذه الأداة إلا حيث تلقام النبرة العالية والنغمة الحاسمة والتعبير الشديد(١)، وهذا الأسلوب فيه قصر لولادة هاشم وعبد المطلب على النبي –ﷺ– لا تتعداه إلى غيره، وهذا فيه من الخيرية والفضل والتعظيم ما فيه.

وقد استعمل من الروابط الحجاجية " **الفاء**" و " **الواو**" مما يحقق التلاحم والترابط بين الجمل وأحكمت سبكها ويكون لها الأثر الأكبر في إثارة المتلقي وإقناعه.

بلاغة إبطال حجية الفخر بعراقة الانتساب لبني هاشم :

يقول :" **وَزَعَمْتَ أَنَّكَ أَوْسَطُ بَنِي هَاشِمٍ نَسَبًا، وَأَصْرَحُهُم أَمًّا وَأَبًا، وَأَنَّهُ لَم يَلِدْكَ العَجَمُ وَلَمْ تُعَرِّقْ فِيكَ أُمَّهَاتُ الأَوْلَادِ، فَقَدْ رَأَيْتُكَ فَخَرْتَ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ طُرًّا، فَانْظُر، وَيْحَكَ، أَيْنَ أَنتَ مِنَ اللَّهِ غدًا! فَإِنَّكَ قَدْ تَعَدَّيْتَ طَوْرَكَ ، وَفَخَرْتَ عَلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ نَفْسًا وَأَبًا وَأَوَّلًا وآخرًا، إبراهيمُ بن رسولِ الله –ﷺ– وعلى وَالِدٍ وَلَدَهُ...**" الواو هنا تعطف " **زَعْمًا**" على " **زَعْمٍ**" وذلك في قوله:" **وَزَعَمْتَ أَنَّكَ ابْنُ أَخَفَّ أَهْلِ النَّارِ ...**" وجاء بهذه المفردة " **زعَمَ**" في صدر كلامه إسراعًا إلى هدم هذه الحجة وإظهار زيفها قبل البدء بها، وأن ما فخر به من نسبه الصريح وأنه لم تعرِّق فيه أمهات الأولاد وكذا وكذا افتراء وكذب ولا يصح الأخذ به، فاختيار هذه المفردة لها أثر في إقناع المتلقي بفكرة المخاطب والاستسلام لها.

ولم يبدأ بإبطال هذه الحجة مباشرة وإنما مهدَّ لها بما يدل على جُرم ارتكبه وهو فعل الأمر " **انْظُر**"، وهو فعل له دلالة حجاجية؛ لأنه يوجه الخطاب إلى هدف معين وهو إقناع المخاطب بأن ما يقوله يحتاج إلى تأمل وتدبر وإعمال فكر فهو من الخطورة بمكان؛ ولذلك قرن الأمر بـ "**وَيْحَكَ**" وهي كلمة زجر لمن أشرف على الهلكة(٢)، ثم ترقى في بيان عظم جرمه بالاستفهام التعجبي" **أَيْنَ أَنتَ مِنَ اللَّهِ غدًا!؟**" فـ "**أين**" لا يقصد بها هنا السؤال وإنما هي أداة حجاجية يُحتج بها عليه وكيف سيكون مصيرك يوم أن تلقى الله – عز وجل– وقد جاوزت الحد في فخرك بنسبك لدرجة أنك

---

(١) ينظر: دلالات التراكيب (دراسة بلاغية) دكتور/ محمد محمد أبو موسى، ص ١١٣، ١١٤، مكتبة وهبة، ط: الرابعة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(٢) ينظر: اللسان، مادة : (ويح).

فخرت على من لا يُفتخر عليه، وفخرت على من هو خير منك نفسًا وأولًا وآخرًا وهو إبراهيم ووالده رسول الله –ﷺ–؛ حيث كان من أبناء أمهات الأولاد وهى مارية القبطية، وهنا فخر بحجة الشخص وهو مكانة الرسول –ﷺ– ثم أكد هذه الحجج بـ " **قد**" ودخولها على الفعل الماضي "**رَأَيْتَك – تَعَدَّيْتَ**" والتأكيد بـ "**إِنَّ**"؛ حيث تقوم بوظيفة حجاجية تتمثل في تقديم المسائل للمتلقي وفرضها عليه(١)، بحيث لا يدع مجالًا للمخاطب لإنكارها، ثم ترقى في إبطال هذه الحجج بالإحاطة والشمول في قوله:" **أولًا وآخرًا**" بحيث لا يدع لأحد مجالًا للفخر بعده .

ثم تأتي الفاء التفصيلية الداخلة على " **إنَّ**" و" **الواو**"، وهما من الروابط الحجاجية التي تعمل على تلاحم الجمل وترابط أجزائها وتتابعها في نسق متكامل، ثم صعد **أبو جعفر المنصور** إبطاله لهذه الحجة بتتابع الحجج التاريخية التي تؤكد أن خيار العلويين وأفضلهم من أبناء أمهات الأولاد، وذكرهم أولًا على سبيل الإجمال في قوله :" **ومَا خَيَارُ بَنِي أَبِيكَ خَاصَّةً وَأَهْلُ الْفَضْلِ مِنْهُمْ إِلَّا بَنُو أُمَّهَاتِ أَوْلَادٍ**" وقد صاغ هذا الإجمال في قالب القصر الذي طريقه النفي والاستثناء زيادة في تقرير هذا المعنى وتأكيده، ثم ذكرهم ثانيًا على سبيل التفصيل زيادة في التوضيح فنص عليهم، وعقد موازنة بينهم وبين غيهم ممن ليسوا من أبناء أمهات الأولاد عن طريق أفعل التفضيل " **خير**" وأثبت لهم كمال الخيرية والفضل، فبدأ بإثبات الفضل والخيرية بعد وفاة رسول الله –ﷺ– "**علي بن حسين**"(٢) وصرَّح بأنه من أبناء امهات الأولاد بقوله:"**وَهُوَ لأُمِ وَلَدٍ**" وذكر المفضَّل عليه زيادة في كمال خيريته فقال:" **وَلَهُوَ خَيْرٌ مِن جَدِّكَ حَسنٍ بن حَسَنٍ**"، ثم جاء بعده من كان مثله في الخيرية والفضل هو" **مُحمد بنِ عَلِّي**"(٣) وصرَّح بنسبه في قوله:" **وَجَدَّتُهُ أُمُ وَلَدٍ**"، وذكر المفضَّل عليه " **وَلَهُوَ خَيْرٌ مِنْ أَبِيكَ**"، ثم جاء بعده من أبناء أمهات الأولاد من كان مثله في الخيرية والفضل وهو "**ابنه جعفر**"(٤) وأكد نسبته

---

(١) ينظر: الروابط الحجاجية في شعر أبي الطيب المتبني، ص١٦١.

(٢) هو: علي زين العابدين بن الحسين بن علي، ينظر القصة كاملة: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمانل ابن خلكان، تحقيق/ إحسان عباس، ٢٧١/٣ ، دار صادر– بيروت، ط:١، ١٩٧١م.

(٣) هو: محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الملقب بالباقر، ينظر: وفيات الأعيان، ١٧٤/٤.

(٤) هو: أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين، ينظر: وفيات الأعيان ، ٣٢٧/١.

بقوله: " **وَجَدَّتُـهُ أُمُّ وَلَـدٍ**"، وذكر المفضَّل عليه " **وَلَهُـوَ خَيْـرٌ مِنْـكَ**"؛ ولا شك أنَّ تكراره لكلمة الأمومة مما يقدح في أصالة نسبه.

وقد سيطر على هذه الحجج التاريخية أفعل التفضيل " **خير**" لإثبات كمال الخيرية والفضل لأبناء أمهات الأولاد من العلويين، كما تعاون مع أفعل التفضيل في تأكيد كمال الخيرية والفضل الإحالة في الحجج باستخدام الضمائر، والتعبير بالضمير له قوته الحجاجية التي تتلاءم مع المقام، فاستخدم ضمائر الغائب متنوعة ما بين "**هو – الهاء –هم**" وهذه الضمائر تجعل هذا الغائب محط الاهتمام ومصب العناية، فيلفت انتباه المخاطب إليه ويجعله يرتد بعقله إلى خصاله وأفعاله، فتظل عالقة في ذهنه، كما استخدم ضمائر المخاطب في هذه الحجج متنوعة ما بين " **الكاف – التاء –أنت – كم**" واستخدام ضمير الخطاب فيه تخصيص للمخاطب واستمالة له، ومن ثم كان أقوى في الحجة وأبلغ في الإقناع ، فالإحالة على الضمائر لها أثرها الفعال على النص الحجاجي الحجاجي وعلى المتلقي، فبالنسبة للنص الحجاجي تحقق له " الإيجاز والاختصار والخفة، وتماسك النص وانسجام مضمونه، وترابط ملفوظه، وإبراز دلالته، وتحديد بنيته الدلالية الصغرى وبنيته الدلالية الكبرى، كما تثري دلالة النص"[(١)] وبالنسبة للمتلقي " تعزز دوره في النص، وتجعله وتجعله أكثر تفاعلًا معه ، حيث تثير ذهنه للبحث عن الدلالة المفتقدة للعنصر الإحالي"[(٢)]. كما لا تخلو هذه الحجج من الرابط الحجاجي؛ حيث تمثل في " **الواو**" العاطفة، وهي العنصر الفاعل في الربط بين هذه الحجج .

والمتأمل هنا يجد أن **أبا جعفر** قد حدد مسار الخلافة وحصرها في الأبناء والعصبة دون البنات وأبنائهم، وهذا واضح جليٌ قاطعٌ في قوله:" **ولمْ يجعلِ اللهُ النِّساءَ كالعُمُومَـةِ والآبـاءِ، وَلا كَالعَصَبَةِ والأَوْلياءِ، لأنَّ الله جَعَلَ العَمَّ أَبًا**"، فهذا صريح في إقامة حجته على أن الوراثة الحقَّة تمَت لهم من قِبَل العباس بن عبدالمطلب، وهذه الحجة كررها **أبو جعفر** في قوله:" **وَلَكِنَّكُم بَنُو ابنتَهُ، وَإِنّهَا لَقَرابَـةٌ قَرِيبـةٌ، وَلَكِنَّهَا لَا تَحُوزُ المِيْرَاثَ، وَلَا تَرِثُ الوِلَايـةَ، وَلَا تَجُوزُ لَهَا الإِمَامَـةُ، فَكَيْفَ تُورَثُ بِهَا!؟**".

بلاغة إبطال حُجية بنوته لرسول الله –ﷺ–:

وَأَمَّا قولك : إنكم بنو رسول الله ﷺ فإن الله تعالى يقول في كتابه : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا

---

(١) في علم اللغة النصي والتطبيقي، د/ مجدي حسين، ص ٧٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط:١، ٢٠١٨م.

(٢) السابق، ص٧٧.

جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ **[الأحزاب من الآية (٤)] وَلَكِنَّكُم بَنُو ابنتَهُ، ...**" اعتمد **أبو جعفر** في إبطال حجة **محمد النفس الزَّكيَّة** – أن العلويين أبناء رسول الله –ﷺ– على الأساليب البلاغية والأدوات اللغوية والروابط الحجاجية والحجج التاريخية.

وقد صاغ هذا في قالب التفصيل بعد الإجمال؛ ليكون زيادة في إقناع المتلقى، فقال: " **فإنَّ الله تعالى يقول:** ...." فالتفصيل في الرد والإطالة فيه بما يدحض الحجة ويدفعها، ويقضي عليها، ولا يدع مجالًا للخصم أو شبهة تحوم حولها، ومن الأساليب البلاغية **(الاقتباس)** من القرآن الكريم دعمًا في الإبطال، وتقوية في دحض الحجة ونقضها فاحتج بقوله تعالى : [ما كان محمد أبا أحد من رجالكم] وإن كانت الآية لها سياقها التي تبطل عادة التبني والنسب، ثم استدرك بـ " **لَكِن**" في قوله :" **وَلَكِنَّكُم بَنُو ابنتَهُ**" ليدل على أن قرابتهم للرسول –ﷺ– من جهة ابنته، وأكد هذه القرابة بـ"**إنَّ**" و "**اللام**" **واسمية الجملة** " **وَإِنَّهَا لَقَرَابَةٌ قَرِيبةٌ**"، وتكرار لفظ " **قرب**" للدلالة على منتهى قربهم من رسول الله –ﷺ–ثم استدرك بـ "**لَكِن**" استدراكًا آخر أقوى في إبطال حجته في قوله:" **وَلَكِنَّهَا لَا تَحُوزُ المِيْرَاثَ، وَلَا تَرِثُ الوِلَايةَ، وَلَا تَجُوزُ لَهَا الإِمَامَةُ**" للدلالة على أنهم مع شدة قربهم من الرسول –ﷺ– إلا أن هذه القرابة لا تعطي الحق في الميراث ولا ترث الولاية ولا تجوز لها الإمامة. فـ " **لَكِن**" أداة حجاجية تفيد الاستدراك وهو يقتضي أن يكون ما بعدها أقوى في الحجة مما قبلها، وقد تآزر مع " **لَكِن**"، في إبطال هذه الحجة ودحضها النفي بـ " **لا**" وتكراره وهي لنفي المستقبل أي: تنفي وقوع هذه الأمور في المستقبل، وعلى ذلك فهي تنفي أحقية العلويين للخلافة في الحال والاستقبال، ويتعاون معها في هذا المعنى الفعل المضارع " **تَحُوزُ – تَرِثُ – تَجُوزُ**"، ثم ترقى في إبطال هذه الحجة بالاستفهام ، وهو الروابط الحجاجية التي تؤثر في النص الحجاجي بما له من قدرة على الحضور والمشاركة وإثارة المتلقى واستفار عقله حتى يقتنع بفكرة الخصم، والاستفهام في قوله:" **فَكَيْفَ تُورَثُ بِهَا!؟**" لا يقصد به سؤالًا، وإنما يستعمله لأغراض حجاجية إقناعية ، فهو يحمل معنى التعجب والنفي والإنكار التوبيخي مما يقوله الخصم.

وقد ترتب على ذلك أنها خرجت إلى أبي بكر –رضي الله عنه– تطلب ميراثها من رسول الله –ﷺ– فقال لها أبوبكر –رضي الله عنه–: أما إني سمعت رسول الله –ﷺ–يقول:" **لا نورث، ما تركنا فهو صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال**" ... فهجرته فاطمة فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت،

فدفنها علي ليلًا، ولم يؤذن بها أبا بكر (١).

وقد أكد هذه الحجج التاريخية بـ " **اللام**" " **قد**" والتعبير بالفعل الماضي "**طَلَبَهَا -أَخْرَجَهَا - مَرَّضَهَا – دَفَنَهَا**" ثم ختم هذه الحجة بما لا يدع مجالًا للإنكار والتأكيد بالحجة الدينية في قوله:"**و وَلَقَدْ جَاءَتِ السُّنَّةُ**" فأكد ذلك بـ"**اللام**" **و** "**قد**" والفعل الماضي "**جَاءتْ**" وقوله:" **لا اخْتِلَافَ فِيهَا بَيْنَ المسلمين**" وهو:" **أَنَّ الجَدَّ أَبَا الأُمِّ والخَالَ والخَالَةَ لا يُورَثُونَ**" وهذا القول يثبت أن القرابة الضعيفة ليس لها في الميراث.

وقد تعاون مع هذه الأساليب روابط حجاجية " **الواو**–**الفاء**" تعمل على ترتيب هذه الحجج ووصلها ببعضها، كما تعمل على تماسك هذه الحجج وتقويتها.

كما كثرت الإحالة على الضمائر في هذه الحجج متنوعة ما بين الخطاب والغائب، وذلك يكسب الحجج قوة وتأثيرًا في الخصم تفضي به إلى الإقناع.

بلاغة إبطال حجية الافتخار بعلي –ﷺ– وفضائله:

" **وَأَمَّا مَا فَخَرْتُ بِهِ مِن عَلِيّ وَسَابِقَتِهِ ، فَقَدْ حَضَرَتْ رَسُولَ الله –ﷺ– الوَفَاةُ ، فَأَمر غَيْرهُ بالصلاة ، ثُمَّ أَخَذَ النَّاسُ رَجُلًا بَعْدَ رَجُلٍ فلم يأخُذُوهُ ، وكَانَ في السِّتَّةَ فَتَرَكُوهُ كُلُّهُم دَفَعًا لَهُ عَنْهَا، وَلَمْ يَرَوْا لهُ حَقًّا فِيهَا ، وَأَمَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَدَّمَ عَلَيْهِ عُثْمَانَ ، وقتل عثمان وَهُوَ لَهُ مُتَّهِمٌ...**" وقد اعتمد أبو جعفر المنصور في دحضه لهذه الحجة على الحجج التاريخية والأساليب البلاغية وأدوات الربط؛ مركزًا في ذلك على نفي القرابة، وأن الاختيار لو كان لاعتبار القرابة، لاختاره الرسول –ﷺ– ولكن الاختيار كان لاعتبارات أخرى، وأكد ذلك بالرد عليه وفصَّل في هذا الرد، فقال:" **فَقَدْ حَضَرَتْ رَسُولَ الله –ﷺ– الوَفَاةُ ، فَأَمر غَيْرهُ بالصلاة**" مؤكدًا كلامه بـ " **قد**"، ودخولها على الفعل الماضي "**حَضَرَتْ**" ولم يقتصر تأخير **علي** –رضي الله عنه– في الصلاة على الرسول –ﷺ– وإنما ترقى إلى فعل ذلك مع غيره، فقال: " **ثُمَّ أَخَذَ النَّاسُ رَجُلًا بَعْدَ رَجُلٍ فلم يأخُذُوهُ** " وجاء بـ" **رَجُلٍ**" نكرة للدلالة على أن مسألة القرابة لم تكن في اعتبار الرسول –ﷺ– ولم تكن في أذهان أصحابه ثم أكد هذا الكلام بحجة تاريخية أخرى، فقال:" **وكَانَ في السِّتَّةَ(٢) فَتَرَكُوهُ كُلُّهُم دَفَعًا لَهُ عَنْهَا، وَلَمْ يَرَوْا لهُ حَقًّا فِيهَا**"، فهؤلاء مع مالهم من فضل لم ينالوا ما نالوا بقرابة حتى يُقرَّب **علي**–رضي الله عنه–، وإنما ما نالوه كان لأسباب أخرى، ثم

---

(١) ينظر : تاريخ الطبري، ٢٠٨/٣.

(٢) الستة وهم: علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، ينظر: جمهرة رسائل العرب في عصور العربية،١٣/ ٨٤.

ترقى في إبطال هذه الحجة بالتفصيل في الستة بقوله: " **وَأَمَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَدَّمَ عَلَيْهِ عُثْمَانَ ، وقتل عثمان وَهُوَ لَهُ مُتَّهِمٌ ، وَقَاتَلَهُ طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ ، وَأَبَى سَعْدٌ بَيْعَتَهُ** " ورفض **سعد** أن يبايعه حين ولى الخلافة، وبايع **معاوية** ثم تتابع الأحداث وتتوالى إلى أن كان **حسن بن على** " **حَسَنٌ فَبَاعَهَا مِن مُعَاوِيةَ بِخَرقٍ وَدَرَاهِمَ وَلَحِقَ بالحِجَازِ**" وهذا فيه تعريض بـ "**حسين بن على**" يدل على أنه كان مؤثرًا للحياة وباع الخلافة **لمعاوية** وقبض ثمنها، يؤكد ذلك بقوله:" **وَدَفَعَ الأَمْرَ إلى غَيْرِ أَهْلِهِ**" أي: إلى غير أهل **علي** –ﷺ– وهو تأكيد لما فعله "**الحسن بن على**" " **وَأَخَذَ مَالًا مِنْ غَيْرِ وَلَايَةٍ وَلَا حِلِّهِ** " وتصعيد له، وأنه باع الخلافة بدون وجه حق ثم صعد نفي الأحقية، بقوله:" **فَإِنْ كَانَ لكم فيها شَيءٌ**" فـ "**إنْ**" هنا على فرض المحال للتنزل مع الخصم لاستدراجه، والمعنى: فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه، وهذا رد على الجملة الأم في رسالة **محمد النفس الزَّكيَّة** " **إِنَّ الحَقَّ حَقُّنَا – إِنَّ اللهَ اخْتَارَنَا واخْتَارَ لنَا**".

ثم يتابع **أبو جعفر** استقصاء الأحداث التي تبطل أحقيتهم للخلافة، فيقول:" **ثُمَّ خَرَجَ عَمُّكَ حُسَينٌ بن علي عَلَى ابن مَرْجَانة**[1] **، فكَانَ النَّاس مَعهُ عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلُوهُ ، وَأَتَوا برأَسِهِ**" ولما خرج عمه **حسين بن علي** ما **ابن مَرْجَانة**، تآزر الناس مع **ابن مَرْجَانة** عليه حتى قتلوه

ولم يكتف بذلك في سرد هذه الأحداث وإنما يواصل استقصائه للأحداث التاريخية لسد الثغرات أمامهم ليبطل أحقيتهم بالخلافة، فيذكر ما أصابهم من **بني أمية**، فيقول:" **ثُمَّ خَرَجْتُم عَلى بَنِي أُمَيَّةَ ، فَقَتَلُوكُمْ وَصَلَبُوكُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْل ، وَأَحْرَقُوكُمْ بِالنِّيرَانِ ، وَنَفَوْكُم مِنْ البُلْدَانِ ، حَتَّى قُتِلَ يَحْيَى بن زَيْدِ بُخْرَاسَانِ ، وَقَتَلُوا رِجَالَكُم وَأَسَرُوا الصِّبْيَة والنِّسَاءَ، وحَمَلُوهُم بِلَا وِطَاءٍ فِي المَحَافِلِ كالسَّبي المَجْلُوبِ إِلى الشَّامِ، حتَّى خَرَجْنَا عَلَيْهِم فَطَلَبْنَا بِثَأْرِكُمْ ، وَأَدْرَكنَا بِدمَائِكُمْ**" كل هذا التعداد في هذه الأحداث ليثبت لهم أنهم لم يستقروا على الخلافة حق تبقى فيهم وفي المقابل بيان فضل العباسين عليهم عندما أنقذوهم مما أصابهم، ولشدة ما أصابهم اقتبس ألفاظ من القرآن الكريم لتصور هذا العذاب" **قَتَلُوكُم – صَلَبُوكُم**" .

بلاغة إبطال حُجية النصرة والمساعدة:

عندما أجمل **محمد النفس الزَّكيَّة** في بيان فضله على **أبي جعفر** في قوله:" **حَظَيْتُم بِشِيْعَتِنَا**" أبطل زعمه بالتفصيل في الأحداث التاريخية وأتى بها مكتملة فيما حدث **لعلي** –ﷺ– وأولاده وفيما أصابهم من **بني أمية**، لبيان أن العباسيين هم من نصروهم ووقفوا معهم " **حتَّى**

---

(١) هو: عبيد الله بن زياد، ومرجانة: أمه، ينظر: جمهرة رسائل العرب، ٣/٨٥.

خَرَجْنَا عَلَيْهِم فَطَلَبْنَا بِثَأْرِكُمْ ، وَأَدْرَكنَا بِدمَائِكُمْ وَأَوْرثْنَاكُمْ أَرْضَهُم ودِيَارَهُم ، وسَنَّيْنَا سَلَفَكُمْ وَفَضَّلْنَاهُ ، فَاتَّخَذْتَ ذَلِكَ عَلَيْنَا حُجَّةً" ؛ ولا شك أن هذه الأحداث التاريخية بأعلامها وأشخاصها المتعددة، التي ذكرها **أبو جعفر** تكشف عن ثراء ثقافته التاريخية التي استعان بها لإبطال أحقية **النفس الزَّكيَّة** بالخلافة استنادًا على فضائل **علي** –رضي الله عنه– وعلى ما أحدثه بنوه وتابعوه من بعده ، وهذا يتفق مع ماقاله النقاد من أنَّ **أبا جعفر المنصور** كان شجاعًا ذا هيبة وحزمٍ، كاملًا للعقل، جيد المشاركة في العلم والأدب، فقيهًا، فصيحًا بليغًا، مفوهًا، خليقًا للإمارة(١).

والمتأمل في هذه الفقرة يجد أنها قد اكتظت بالروابط الحجاجية" **الواو – الفاء – ثم**" والتي تعمل على تماسك النص وترابط أجزائه فـ" **الواو" تعمل" على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض، وتعمل على تقوية الحجج وتماسكها**"(٢) كما أنَّ " **الفاء – ثُم**" لهما دور حجاجي بارز في " الربط بين قضيتين وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب"(٣)، ومن الروابط الحجاجية التي استعملها "**حتى**" " **حَتَّى قَتَلُوهُ – حَتَّى قُتِلَ يَحْيَى بن زَيْدٍ – حتَّى خَرَجْنَا**" وهي تكون " غاية لما قبلها في زيادة أو نقص، والزيادة تشمل القوة والتعظيم، والنقص يشمل الضعف والتحقير "(٤) ولها وظيفة حجاجية وكان لها حضور بارز في دحض حجته، لأنها ساعدت على تلاحم الحجج وترابطها فـ " "**حتى**" تصل بالمتلقي إلى قمة الطوابق الحجاجية أو قمة النهاية لتصل به مباشرة دون المرور بالمقدمات الواحدة تلو الأخرى إلى النتيجة"(٥).

كما تلحظ سيطرت الفعل الماضي على هذا النص وذلك لما يدل عليه من تحقق هذه الأحداث وتأكيد وقوعها مما لا يدع مجالًا للشك فيها، كما أنها تثبت في ذهن المتلقي ولا يحتاج إلى دليل عليها .

---

(١) ينظر: تاريخ الخلفاء، ص١٩٣ .

(٢)الحجاج في نهج البلاغة الرسائل اختيارًا، ص١١٥..

(٣) استراتيجيات الخطاب، ص٥٠٨.

(٤) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تحقيق د/ فخر الدين قباوة– الأستاذ محمد نديم فاضل، ص ٥٤٨، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان : الأولى، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م.

(٥) الحجاج والحوار في رسالة الغفران(قراءة ثقافية) مروة فتحي عبدالمحسن، ص١٣٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٨م..

وقد استخدم الضمائر في هذه الفقرة متنوعة ما بين الخطاب والغائب والمتكلم ويرجع هذا لما تحققه من الإيجاز، كما أنها تقوم بدور فاعل في تحقيق التماسك النصِّى وترابط أجزائه، كما أنها تعمل على استحضار جميع الأطراف في الخطاب، مما يكون أبلغ في الإقناع، ومن الأساليب البلاغية التي وظفَّها في دحض حجة **محمد النفس الزَّكيَّة** الاستقصاء في ذكر الأحداث التاريخية من بداية **علي** –رضي الله عنه– إلى آخر عصر **بني أُمية**، وهذا الاستقصاء قصد به إبطال ما ادعاه **محمد النفس الزَّكيَّة** من أحقيتهم للخلافة، من بإبطال شرفهم، وإظهار مساوئهم، وذلك من خلال وقائع تاريخية، فهو يعتمد على الثقافة التاريخية المتراكمة عبر العصور، ويتتبعها ويستقصيها واحدة واحدة حتى يبطل هذا الادعاء، وهي أحداث رصد فيها عدد كثير من الأسماء والأعلام وذلك له أثر بالغ في الحجاج والإقناع.

بلاغة إبطال معتقد الخَصم الفاسد:

لم يُقدِّم العباسيون **عليًّا** –رضي الله عنه– تقدمة له على **حمزة والعباس وجعفر**، حتى يكون ذلك حجة للعلويين في بيان فضله عليهم، وإنما لإنصافه من ظلم الأمويين، يقول:" **وَظَنَنَتَ أَنَّا إِنَّما ذَكَرْنَا أَبَاكَ وَفَضَّلْنَاهُ لِلتَّقْدِمَةِ مَنَّا لَهُ عَلَى حمزَةَ والعَبَاسِ وَجَعْفَرٍ ، وَلَيْسَ ذَلِك كَمَا ظَنَنْتَ ...**"

بدأ في دحض حجة **محمد النفس الزَّكيَّة** باستدعاء لفظة " **ظَنَنَتَ**" دون غيرها في صدر كلامه وهذا يرجع إلى ما تحمله من دلالات حجاجية فهي تخدم **أبو جعفر** في هدفه؛ حيث أراد أن يقنع **محمد النفس الزَّكيَّة** أن العباسيين لهم فضل على العلويين وهم أحق بالخلافة فأراد أن يجاريه في معتقده بأن "**عليًّا**" –رضي الله عنه– أفضل من **حمزة والعباس وجعفر** فعبر بـ" **ظَنَنَتَ**" وهي على معنى اليقين؛ لأنها دخلت عليها "**أَنَّ**" المشددة مثل قوله تعالى : ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ ﴾ [الحاقة: الآية (٢٠)] والمعنى في ذلك "**أَنَّ**" المشددة للتأكيد فدخلت في اليقين[١]. وفي هذا استدراج لما يريده، وحملًا للمخاطب على التسليم بما يعتقد المتكلم، وبعد الاستسلام لما يقول، أراد أن يهدم معتقده فجاء بـ "**ليس**" والتي تعني استمرار نفي الأفضلية عن "**علي**"–رضي الله عنه–، وجئ بـ " **ظَنَنَتَ**" الثانية على الأصل فهذه الكلمة لها تأثير على المتلقي وإقناعه بفكرة أحقية العباسين للخلافة وأنهم أصحاب فضل على العلويين مؤكدًا ذلك بـ "**لكن**" التي تمنح ما بعدها قوة، وتجعله في أعلى درجات السلم الحجاجي، فهي لدفع توهم نتيجة غير مطلوبة[٢].

---

(١) الكليات ، ص٥٨٨.

(٢) ينظر: الحجاج والحوارفي رسالة الغفران، ص١٢٧، ١٢٨.

ثم اعتمد على أسلوب الاستقصاء في بيان فضل العباسيين على العلويين فقال:" **وَلَكِن خَرَجَ هَؤُلاءِ من الدُّنْيَا سَالِمِينَ ، مُتَسَلَّمًا مِنْهُم ، مُجْتَمَعًا عَلَيْهِمْ بِالفَضْل**" وفي المقابل: " **وابْتَلي أَبُوكَ بالقِتَالِ والحَرْبِ ، وكَانَت بنُو أُمية تلعَنُه كَمَا تَلْعَنُ الكَفَرةَ في الصَّلاةِ المكْتُوبَةِ، فاحْتَجَجْنَا لَهُ، وذَكَّرنَاهُم بِفَضْلِهِ، وعَنَّفْنَاهُمْ وظَلَمْنَاهُمْ بِمَا نَالُوا مِنْهُ**" ثم يترقى في إثبات الفضل لهم في وقوفهم مع العلويين ودفاعهم ضد **بني أمية** " **فاحْتَجَجْنَا لَهُ، وذَكَّرنَاهُم بِفَضْلِهِ، وعَنَّفْنَاهُمْ وظَلَمْنَاهُمْ بِمَا نَالُوا مِنْهُ**".

بلاغة الحجاج بأفضلية العباسيين على العلويين:

ثم انتقل من بيان فضلهم عليهم في الإسلام إلى بيان فضلهم عليهم في الجاهلية، وهذا من بلاغة حسن الختام للرسالة فبعد أن هدم حجج **النفس الزَّكيَّة** ختم بما يؤكد أفضلية العباسيين المطلقة على العلويين، بما يؤكد أحقيتهم في الخلافة وذلك من خلال عدة حجج، فيقول:" **وَلَقَد عَلِمْتَ أَنَّ مَكْرُمَتَنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ سِقَايَةُ الحَجِيجِ الأَعظَمِ، وَوِلايَةُ زَمزَمَ، فَصَارَت للعبَّاس مِنْ بين إِخْوتِهِ، فَنَازَعَنَا فِيهَا أَبُوكَ...** " ثم أكد فضلهم بحكم "**عمر**" –رضي الله عنه– لهم بها " **فَقَضَى لنَا عَلَيهِ عُمَرُ**" ثم صعَّد هذا الفضل باستمرار السقاية لهم في الجاهلية والإسلام فقال: " **فَلَمْ نَزَلْ نَلِيَهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ والإِسْلام**"، ثم يترقى في بيان مكانة **العباس** بأن **عمر** –رضي الله عنه– تقرَّب به إلى الله عندما قحط أهل المدينة ونعشهم الله وسقاهم الغيث " **وَلَقَد قَحَطَ أَهْلُ المدينةِ فَلَمْ يُتَوسَّلْ عُمَرُ إِلَى رَبِّه وَلَمْ يَتَقَّربْ إِليهِ إِلا بِأَبِينَا، حَتَّى نَعَشَهُم اللهُ وَسَقَاهُم الغَيْثَ**" **فعن أنس: "أن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال فيسقون**"(١)، ولم يكتفِ بهذا في بيان فضل **العباس** وإنما جمع له في الفضل بين السقاية وميراث النبي – ﷺ– " **وَلَقَد عَلِمْتَ أَنَّهُ لَم يَبْقَ أَحَدٌ مِن بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ بعدَ النبي –ﷺ– غَيرهُ ، فكَانَ ورَاثَةٌ مِن عُمُومَتِهِ**" ولم يكن هذا الأمر لأحد بعده إلا ولده " **فالسِّقايَةُ سِقَايَتُهُ، ومِيرَاثُ النَّبي لَهُ، والخِلافَةُ فِي وَلَدِهِ**" ثم رتب على هذا الكلام النتيجة فما سبقه مقدمات لهذه النتيجة " **فَلَم يَبْقَ شَرَفٌ وَلا فَضْلٌ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلا إِسْلامٍ فِي دُنْيَا وَلا آخِرَةٍ إِلا والعَبَّاسُ وَارِثُهُ وَمُوَرِّثُهُ**" وهذه النتيجة تصعيد للاحتجاج، ولا نتيجة إلا بعد إقناع، وقد صاغ هذه النتيجة في قالب القصر الذي طريقة النفي والاستثناء لزيادة التأكيد، واستقصى الشرف والفضل في الجاهلية والإسلام

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذ قحطوا، حديث رقم: (١٠١٠).

والدنيا والآخرة لإثباته لهم لا يتعداهم إلى غيرهم .

والمتأمل في هذا النص يجد أن **أبا جعفر المنصور** يعتمد على الحجج التاريخية ليثبت أفضليته على العلويين، لبيان أحقيتهم بالخلافة فلهم من الشرف ومن السوابق ما يجعلهم أهلًا للخلافة، وهي حجج واقعية لا يمكن التشكيك فيها؛ ولذلك فهي أقوى في إقناع المخاطب واستمالته فـ " الخطاب الحجاجي يكون أنجع وأقدر على الفعل في المتلقى والتأثير فيه كلما انغرست مراجعه في الواقع، وتنزلت عناصره فيما حدث وما يحدث"(١)، كما كثرت في هذه الحجج أدوات التأكيد متنوعة بين "**اللام ، قد**".

والفعل الماضي دلالة على أن هذه الحجج حصلت بالفعل ووقعت حقيقة ، بالإضافة إلى الروابط الحجاجية التي تعمل على ترتيب الحجج ووصلها ببعضها وتماسكها مثل "**الواو – الفاء – ثم – حتى**" كما نلمح حضور مكثف للضمائر متنوعة ما بين الخطاب والتكلم والغائب والضمائر لها طاقتها الحجاجية التي تتلاءم مع المقام والغرض المقصود، كما أنها من وسائل التماسك النصي.

أما بالنسبة لرد **أبي جعفر المنصور** في قوله:" **وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِن بَدْرٍ، فَإِنَّ الإِسْلَامَ جَاءَ والعَبَّاسُ يُمَوِّنُ أَبَا طَالِبٍ وَعِيالَهُ، وَيُنْفِقُ عَلَيْهِمْ لِلأَزْمَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُ ...**"

فهو في رده هذا يثبت مآثر ومفاخر العباس حتى قبل أن يسلم لكن هذه الحجة ليس لها ذكر في رسالة **النفس الزَّكيَّة**، ولذلك احتمالات:١- أنها سقطت من كتب التاريخ، ٢- أن هناك إشارة ضمنية في رسالة **محمد النفس الزَّكيَّة (الطرداء – اللعناء...)** فأفرد لها **أبو جعفر** الذكر وهو يتحدث عن فضائل العباسيين، ٣- وربما كانت فكرة من أفكار العلويين تجاه العباسيين انتقاصًا منهم، فانبرى أبو جعفر للدفاع عنها تصريحًا، ٤- أن هذا النص أسقطه العباسيون من رسالة محمد النفس الزَّكيّة؛ لأن أبو جعفر قد بايعه مرتين: إحداهما بالمدينة والأخرى بمكة في المسجد الحرام، فلما بايعه قام معه حتى خرج من المسجد الحرام فركب فأمسك له أبو جعفر بركاب دابته، ثم قال له ياأبا عبدالله، أما إنه إن أفضى إليك هذا الأمر نسيت هذا الموقف ولم تعرفه لي (٢).

وفي نهاية الرسالة، نقول أنَّ: أبا جعفر استطاع بذكائه ودهائه وسعة ثقافته التاريخية

---

(١) الحجاج في الشعر العربي القديم، ص٢١٤.

(٢) ينظر: مقاتل الطالبيين، ص٢٥٩.

والدينية والسياسية أن يبطل حجج النفس الزَّكيَّة حجة حجة، وأن يثبت عدم أحقيتهم بالخلافة، ومن خلال عرضه للحجج عرضًا مفصلًا، والاستقصاء في تناولها، ومن ثَمَّ إبطال الهدف الذي يرمي إليه وهو إقناعه بأحقية الخلافة.

خاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد (ﷺ) وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... **وبعد،**

فهذه دراسة بلاغية حجاجية للرسائل المتبادلة بين **أبي جعفر المنصور ومحمد النفس الزَّكيَّة** ، وقد خلصت هذه الدراسة إلى عدة نتائج ، أهمها :

- جاء براعة الاستهلال متنوعًا في الرسائل بما ينسجم مع نفسية كل طرف وغرضه من رسالته فرسالة **أبي جعفر** الأولى جمعت بين البسملة واللقب والآية القرآنية ، ورسالة **محمد النفس الزَّكيَّة** جمعت البسملة واللقب والآية القرآنية ، أما رد **أبي جعفر** على رسالة **النفس الزَّكيَّة** فقد اقتصر على البسملة فقط .
- توظيف كل واحد من الطرفين الآيات القرآنية توظيفًا يدعم بها قضيته، ويستدرج بها تأييد جمهوره، ويبطل بها حجج خصمه وإفحامه ، كما تم تحديد طرفي الخطاب في مطلع الرسالة وتعيينه بحيث يتضح مقصدية المرسِل والمرسَل إليه.
- اعتبر أبو جعفر المنصور أن محمدًا النفس الزَّكيَّة من الخارجين الذين يحاربون الله ورسوله، وأنه إذا لم يستجب ويرجع إلى الله – تعالى – ويُقِر له بالخلافة ، فيعتبر ذلك من الذين يسعون في الأرض فسادًا ومن ثم يطبق عليه حد الحرابة، كما أن محمدًا النفس الزَّكيَّة اعتبر خصمه فرعون وأنه علا في الأرض واستضعف أهلها وظلم ساكنيها ، وجعل نفسه صاحب حق وأن يقف معه.
- اعتمدت رسالة أبي جعفر المنصور الأولى في خطابه محمد النفس الزَّكيَّة على أسلوب الترغيب المبطن بالترهيب لاستدراجه وإقناعه بالتخلي عن فكرته وهي أحقيته بالخلافة، كما اتسم أسلوب الرسائل بالإنجاز والوضوح والتقرير المباشر في سوق الأدلة وإقامة الحجج وتقويضها دون جنوح إلى التعمق والخيال، وهذا مما نادى على ندرة الأساليب البيانية في رسائل الطرفين ، فانشغال كل طرف بإقناع خصمه أقوى من انشغاله بإحداث المتعة الجمالية في نفسه
- تنوعت الأساليب البلاغية والتقنيات الحجاجية التي وظفها الخصمان في محاولة استدراج كل واحد منهما الآخر للتأثير والإقناع، وقد ظهر ذلك من خلال أساليب الاستفهام ، التقديم ، التوكيد بـ "**إنّ**" واللام، والجملة الاسمية، والقصر بـ" **إنما**" وبالنفي والاستثناء والتكرار، كما تعددت الروابط الحجاجية في بناء الرسائل فجاوت " الواو – الفاء – ثم – لكن –حتى" .
- اعتمد كل من الطرفين أسلوب الاستقصاء والحصر والتدرج بالفكرة حتى تبلغ منتهاها، وهو من أقوى الأساليب البلاغية الناجعة في الحجاج لإقناع الخصم واستمالته نحو الغرض المقصود.
- اعتمد الخطاب الحجاجي البنية الشرطية التي يتحقق الترابط بين طرفيها ، وتبني إحداهما على الأخرى، وتكون سببا فيها، هذا مما يؤثر في عقل المخاطب ويدفعه إلى الإقناع والاستجابة.

- كان للأساليب البديعية : الطباق والمقابلة والجناس دورها البارز التي اعتمد عليها الخطاب الحجاجي في الرسائل لتحقيق الإقناع والتأثير.
- إن طاقة الاستفهام في بنية الحجاج في الرسائل لها أثرها الواضح في إقرار الخصم، وتغيير قناعاته؛ حيث تدفع المتلقي إلى التأمل والتفكر، وتفرض على المخاطب إجابة محددة يرمى إليها المتكلم وهذا هو لُب الخطاب الحجاجي.
- كان لأسلوب المفاضلة والمقارنة بين الأحساب والأنساب حضوره الفاعل في الرسائل بين الطرفين، وذلك لإبراز كل واحد منهما تفوقه على خصمه ، ومن ثم أحقيته بالخلافة.
- اعتماد **محمد النفس الزَّكيَّة** على النسب في الأحقية بالخلافة ومحاولة إضفاء الشرعية عليها، وهذا لم يدل عليه دليل لا من القرآن ولا من السنة، كذلك اعتماده على حادثة **(الغدير)** سواء أكانت صحيحة أم غير صحيحة، فلا تعتبر دليلًا على الأحقية بالخلافة .
- ظهر من خلال الدراسة ، هل التزم **أبو جعفر المنصور** بترتيب الحجج كما وردت في النص الحجاجي عند **محمد النفس الزَّكيَّة** أم أن رده قد خالف هذا الترتيب لدواعٍ اقتضاها ؟.
- أجهز أبو جعفر المنصور في رده على محمد النفس الزَّكيَّة على حججه التي احتج بها لبيان أحقيته بالخلافة ، فأتى عليها واحدة واحدة ونسفها من أساسها معتمدًا في إبطالها على عقلية منطقية ذي ثقافة واسعة فى الدين والتاريخ، وذي قدرة في البيان المؤثر المقنع الأمر الذي حقق هدفه وهو أحقية الخلافة.
- احتشد **أبو جعفر المنصور** في إبطال حجج **النفس الزَّكيَّة** حججًا مناسبة كالحجة الدينية وحجة السلطة والحجة التاريخية والتي غايتها التأثير والإقناع .
- التأمين الذي منحه **أبو جعفر المنصور** في رسالته الأولى **لمحمد النفس الزَّكيَّة** عام له ولكل من ينتسب إليه ، أما **محمد النفس الزَّكيَّة** فقد قصره في **أبي جعفر المنصور**، وهذا من الذكاء السياسي **لأبي جعفر**، وبراعته في استدراج وترغيب الخصم ، وشدة وثوقه في قدرته ، وسعة سلطانه ، كما أن تأمين **محمد النفس الزَّكيَّة** فيه استثناء، أما **أبو جعفر** لم يستثني، وهذا يحسب **لأبي جعفر**، وإن كان استثناء **محمد النفس الزَّكيَّة** يدل على نوازعه الإيمانية، إذ لا يتجاوز في حد من حدود الله، وحق من حقوق العباد.
- اتضح من خلال دراسة النص الثاني **لأبي جعفر** في رده على **النفس الزَّكيَّة** أن هناك زيادة في نصه لم ترد في نص رسالة **محمد النفس الزَّكيَّة**، ولعل ذلك يرجع إلى احتمال سقوط هذا الادعاء من نص محمد النفس الزكية، ولم يذكر في المصادر بدليل قوله في النص: "**وأما ما ذكرت من بدر.....**".
- تنوع ختام الرسائل مع مضمونها وذلك ما يؤكد شدة الترابط والتماسك بين مطلع الرسالة وخاتمتها .

ثبت المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المصادر.

أساليب الإقناع في القرآن الكريم، عيسى باطاهر، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان –
[١] الأردن، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

[٢] استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية) عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد

أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، مكتبة الخانجي–
[٣] القاهرة، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

[٤] الأعلام للزركلى، دار العلم للملايين ، ط: الخامسة عشر – أيار، ما يو– ٢٠٠٠م.

أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم، حققه وترجم لشعرائه / شاكر هادي شكر، مطبعة
[٥] النعمان – النجف الأشرف، ط : الأولى، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

[٦] البداية والنهاية لابن كثير، مطبعة السعادة – القاهرة (د.ت) .

[٧] بديع القرآن لابن أبي الإصبع ، تقديم وتحقيق/ حفني محمد شرف، نهضة مصر .

البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية،
[٨] ط: الأولى، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

بلاغة الإقناع في المناظرة، د/ عبداللطيف عادل، منشورات ضفاف، بيروت – لبنان ،
[٩] منشورات الاختلاف، الجزائر، ط: الأولى، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

البلاغة العربية (أسسها، وعلومها، وفنونها) تأليف/ عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم –
[١٠] دمشق ، الدار الشامية –بيروت، ط : الأولى ، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

بلاغة الحجاج في شعر أبي العلاء، د/ عماد سعد شعير، ط: الأولى، الهيئة المصرية العامة
[١١] للكتاب ، ٢٠٢٠م.

بلاغة الحجاج في الشعر القديم (حجاج الشاعر شفيعًا ومحرِّضًا) دكتور/ محمد سيد علي عبد
[١٢] العال، مكتبة الآداب ، ط الأولى ، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

[١٣] البلاغة والاتصال، جميل عبدالمجيد، دار غريب–القاهرة (د–ط)،٢٠٠٠م.

تاريخ الخلفاء للسيوطي، تحقيق/ حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط: الأولى،
[١٤] ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

تاريخ الطبري – تاريخ الرسل والملوك – للطبري ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، دار
[١٥] عارف – مصر ، ط: الثانية، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

[١٦] تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، دراسة وتحقيق/ محب الدين أبو سعيد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

[١٧] التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة للسخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

[١٨] تحليل خطاب الحجاج الاجتماعي في مؤلفات قاسم أمين، هدى عبدالغني باز، تقديم/ إيمان السعيد جلال، القاهرة-مكتبة الآداب، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

[١٩] التعريفات للشريف الجرجانى، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

[٢٠] جمهرة رسائل العرب في عصور العربية، تأليف/ أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان.

[٢١] الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تحقيق د/ فخر الدين قباوة- الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان : الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

[٢٢] الحجاج الجدلي، خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية في نماذج من التراث اليوناني والعربي، د/ عبدالله البهلول، قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط: الأولى، ٢٠١٣م

[٢٣] الحجاج في البلاغة المعاصرة (بحث في بلاغة النقد المعاصر) د/ محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط:١ ، الأولى،٢٠٠٨م.

[٢٤] الحجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه)، د/ سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث ، إربد- الأردن ،ط: الأولى،١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

[٢٥] الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة، دار الغارابي، بيروت- لبنان، ط١: الثانية، ٢٠٠٧م.

[٢٦] الحجاج والحوار في رسالة الغفران (قراءة ثقافية) مروة فتحي عبدالمحسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٨م.

[٢٧] الحجاج ووساله البلاغية في النثر العربي القديم (رسائل القاضي الفاضل أنموذجًا) دكتور / أيمن أبو مصطفى، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط: الأولى، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨.

[٢٨] خطاب الحجاج والتداولية (دراسة في نتاج ابن باديس) عباس حناشي، ط:١، جامعة محمد خيثر، بسكرة، الجزائر، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن.

[٢٩] دلالات التراكيب (دراسة بلاغية) دكتور/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط: الرابعة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

[٣٠] دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان، اعتنى بها/ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط: الرابعة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

الرسائل النبوية (دراسة لسانية نصية) الدكتور/ أشرف السيد العربي، دار النابغة، ط: الأولى ، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م. [٣١]

الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبدالله صولة، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط١: الثانية، ٢٠٠٧م. [٣٢]

سر صناعة الإعراب لابن جني، دار الكتب العلمية؛ يروت – لبنان ، ط: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م. [٣٣]

سنن الدار قطني، حققه/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط: الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م. [٣٤]

السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق/ مصطفى السقا وآخرون، مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي . مصر، ط: الثانية، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م. [٣٥]

شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، شرح وتحقيق الأستاذ الدكتور/ عبدالعال سيد مكرم، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م. [٣٦]

شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن) للطيبي، تحقيق د/ عبدالحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفي الباز (مكة المكرمة . الرياض)، ط: الأولي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م. [٣٧]

شرح المفصل لابن يعيش، قَدَّم له دكتور/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٩م. [٣٨]

الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي، المكتبة العنصرية- بيروت، ط: الأولى ١٤٢٣هـ. [٣٩]

عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، د/ فوزي خضر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م. [٤٠]

فن البديع، دكتور/ عبد القادر حسين، دار الشروق، ط: ولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م. [٤١]

في صحبة النص (مختارات ودراسات) د/ طارق شلبي، دار البرق، (د-ت). [٤٢]

في علم اللغة النصي والتطبيقي ، د/ مجدي حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ٢٠١٨م. [٤٣]

الكامل في التاريخ لابن الأثير، تحقيق/ عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي بيروت- لبنان، ط: الأولى١٤١٧هـ-١٩٩٧م. [٤٤]

كتاب أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني ، قرأة وعلق عليه أبو فهر/ محمود محمد شاكر، دار المدني- جدة، مطبعة المدني- مصر، ط: الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩١م. [٤٥]

كتاب دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه أبو فهر/ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني – مصر، دار المدني – جدة، ط: الثالثة، ١٤١٣هـ-١٩٩٩م. [٤٦]

[٤٧] الكليات للكفوي ، تحقيق/ عدنان درويش – محمد المصرى، مؤسسة الرسالة – بيروت.
[٤٨] لسان العرب ، لابن منظور دار المعارف.
[٤٩] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د/ طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي / الدار بيضاء، ط/١٩٩٨م.
[٥٠] مستويات الحوار في فنون النثر العباسي، عبد الله التطاوى، دار غريب للطباعة لنشر والتوزيع،١٩٩٥.
[٥١] المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، نعمان بوفرة، جدار الكتاب العالمي، ط: ١، ٢٠١٠م.
[٥٢] معاني النحو، د/ فاضل السامرائي، دار الفكر، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
[٥٣] المعجم الكبير للطبراني، تحقيق / حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط: الثانية (د- ت) .
[٥٤] مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق/ السيد أحمد صقر، دار المعرفة ، بيروت (د- ت) .
[٥٥] موسوعة سفير للتاريخ الاسلامي، نقلها وأعدها للشاملة أبو سعيد المصري.
[٥٦] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة للظاهري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب – مصر، (د-ت).
[٥٧] لسان العرب ، لابن منظور دار المعارف.
[٥٨] النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف – مصر، ط: الرابعة.
[٥٩] نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، د/ الحسين بنوهاشم، دار الكتاب الجديدة المتحدة – بيروت، ط: الأولى،٢٠١٤م.
[٦٠] وسائل التماسك النصي في الخطب النبوية، الدكتور/ أحمد كنون، دار النابغة، ط: الأولى، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

ثالثًا: الرسائل العلمية:

[١] الآليات الحجاجية في الحديث النبوي الشريف أحاديث مختارة من صحيح البخاري إعداد لطالبة/ حسنية لبحري، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الحقوق بودواو، الجمهورية الجزائرية لديمقراطية الشعبية، ٢٠١٤م-٢٠١٥م.
[٢] البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي، مذكرة مقدمة لنيل درجة لماجستير، إعداد الطالبة/ شيخ آمال، الجزائر، كلية المسيلة، كلية الآداب والعلوم لاجتماعية، ٢٠١١م.

[٣] الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، نعيمه يعمرانن ، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري– تيزي وزو ، كلية الآداب واللغات، الجزائر،٢٠١٢م.
[٤] الحجاج في نثر ما قبل الإسلام (دراسة في وسائل الإقناع) إعداد الطالبة/ أسماء محمد صاحب معلة، رسالة دكتوراه، جامعة القادسية – كلية الآدلب، ١٤٤١هـ–٢٠٢٠م.
[٥] الحجاج في نهج البلاغة الرسائل اختيارًا، إعداد الباحث/ رائد مجيد الزبيدي، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب،٢٠١٣م.
[٦] الروابط الحجاجية فى شعر أبي الطيب المتينبي (مقاربة تداولية)، إعداد الطالبة/خديجة بو حشرة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران،٢٠١٠م.
[٧] العلاقات بين العلويين والعباسيين في العصر العباسي الأول (دراسات في التاريخ الإسلامي) الدكتور/ محمد البطاينة ، جامعة اليرموك .

رابعًا: المجلات والدوريات:

[١] الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، د/رضوان الرقبي، مجلة عالم الفكر، مج٤٠، ٢٠١١م.
[٢] الشرط وأثره الحجاجى في الخطاب(مقاربة تداولية حجاجية) " في مناظرة بين العلم والجهل لشيخ محمد الديسي الجزائري"، محمد فارح– عبداللطيف حني، مجلة (لغة– كلام) جامعة غليزان/ لجزائر، مج(٧)، العدد (١)، ٢٠٢١م.
[٣] آليات الإقناع في الخطابة السياسية في العصر العباسي الأول (١٣٢–٢٤٧هـ)، عرفة حلمي عباس، رابطة الأدب الحديث، فكر وإبداع ، ع ٥٢، مايو –٢٠٠٩م.
[٤] بلاغة الخطاب الحجاجي في النثر الفني (الخطاب في العصر الأموي نموذجًا) د/عبد الرحمن جا الله السلمي، مجلة الأثر، ع٢٩.
[٥] بلاغة الخطاب السِّجالي (مقاربة تداولية تداولية في مراسلات أبي جعفر المنصور والنفس الزكية) هيثم سرحان، مجلة الأبحاث–كلية دار العلوم، الجامعة الأميركية ، بيروت – لبنان، ٢٠١٢–٢٠١٣م.
[٦] الحجاج والشعر نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر، أبو بكر العزاوي، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، كلية الآداب بني هلال، العدد السابع، ١٩٩٢م.
[٧] الرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد ذي النفس الزَّكيَّة، الدكتور/ فاروق عمر، الشبكة العنكبوتية.
[٨] مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة ، محمد سالم الأمين، مجلة عالم الفكر ، لمجلد الثامن والعشرون، الكويت، ع: الثالث، يناير/مارس٢٠٠٠م.

فهرس المحتويات	الصفحة
مقدمة	٤٠٦
تمهيد	٤١٠
أولًا: التعريف بـ " أبي جعفر المنصور".	**٤١٠**
ثانيًا: التعريف بـ " محمد النفس الزكية".	٤١٤
ثالثًا: الرسائل المتبادلة بين "أبي جعفر المنصور ومحمد النفس الزَّكيَّة".	٤١٥
رابعًا: مفهوم الحجاج وعلاقته بالبلاغة .	٤١٩
المبحث الأول : بلاغة الخطاب الحجاجي في رسالة أبي جعفر المنصور إلى محمد النفس الزَّكيَّة.	٤٢٢
المبحث الثاني: بلاغة الخطاب الحجاجي في رد محمد النفس الزَّكيَّة على رسالة أبي جعفر المنصور .	٤٣٥
المبحث الثالث: بلاغة الخطاب الحجاجي في رد أبي جعفر المنصور على رد محمد النفس الزَّكيَّة.	٤٥٠
خاتمة.	**٤٧١**
فهرس المصادر والمراجع.	
فهرس الموضوعات.	**٤٧٨**